

شرح

الأرجوزة المئية في ذكر حال أشرف البرية

صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللّٰهُ

المتوفى سنة ٧٩٢هـ

شرح

محمد بن سعيد ابن طوق المُرِّي

[مقدمة]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.^(١)

أما بعد؛ فإن علم التاريخ علم شريف القدر، غزير المنفعة، من أحسن ما وُصف به قول بعضهم: "إنه علم يستمتع به العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل، فكل غريبة منه تُعرف، وكل أعجوبة منه تُستظرف. يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والبادي والحاضر، والموجود والغابر".

ولله در لسان الدين بن الخطيب إذ يقول في ديباجة نظمه (رقم الحلل في نظم الدول):

وبعدُ فالتاريخ والأخبارُ	فيهءَ لنفس العاقل اعتبارُ
وفيه للمستبصر استبصارُ	كيف أتى القوم وكيف صاروا
يُجري على الحاضر حكم الغائبِ	فيُثبِتُ الحقَّ بسهم صائبِ
وينظر الدنيا بعين النبُلِ	ويترك الجهل لأهل الجهلِ

وقال آخر:

ومن حوى التاريخ في صدرهءَ أضاف أعمارًا إلى عُمرهءَ
وإذا كان هذا شأنَ التاريخ على جهة العموم، فكيف بتاريخ أعظم وأفخم من أرخ له؛ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! الذي فرض الله تعالى علينا الائتساء به فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ

(١) أصل هذه الأوراق تفرّغ لشرح صوتي على (الأرجوزة المئّية)، وقد اطلع الشارح على هذه الأوراق قبل نشرها وراجعها.

- [رابط الشرح الصوتي](#)
- [رابط آخر للشرح الصوتي](#)

لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿ [الأحزاب: ٢١]، ولا يتم واجب الائتساء به إلا بمعرفة أحواله وأخباره.

وفرض علينا محبته، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يؤمن أحدكم حتى حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»، ولا يمكن أن تحب من لا تعرف، فإذا عرفت أخباره وأحواله وأيامه وسيرته؛ أحببته لا محالة.

ثم إنَّ علم السيرة يسهل لك العلوم الأخرى من تفسير وحديث وفقه، كما قال الحلبي في سيرته:

وبعد فالسَّيْرُ ذو تيسير للفقهِ والحديث والتفسير

اقرأ مثلاً غزوة بدر من كتاب من كتب السيرة ثم اقرأ سورة الأنفال وانظر كيف تفهمها، ستجد أثر معرفتك بالسيرة في فهمك للقرآن. اقرأ في كتاب من كتب السيرة عن غزوة أحد ثم اقرأ سورة آل عمران، اقرأ في كتاب من كتب السيرة عن غزوة الخندق ثم اقرأ سورة الأحزاب، اقرأ في كتاب من كتب السيرة عن غزوة تبوك ثم اقرأ سورة التوبة، اقرأ في كتاب من كتب السيرة عن غزوة بني النضير ثم اقرأ سورة الحشر.

فالعلم بالسيرة يزيدك فهماً للقرآن، وقد قال الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ: "في علم المغازي علم الآخرة والأولى". وقال علي بن الحسين: "كنا نعلِّم مغازي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما نعلِّم السورة من القرآن".

والجادة عند العلماء التسامح في أخبار السيرة وعدم التشديد فيها، قال العراقي في ألفية الحديث:

وسهِّلُوا في غير موضوع رَوُّوا من غير تَبَيُّنٍ لضعفٍ ورأوا

بيانهُ في الحكم والعقائد عن ابن مهديٍّ وغير واحد

كأحمد وابن معين وابن المبارك والسفيانين، وقد قال ابن مهدي رَحِمَهُ اللهُ: "إذا روينا في الحلال والحرام شدّدنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال، وإذا روينا في الفضائل والثواب والعقاب سهّلنا في الأسانيد وتسامحنا في الرجال".

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: "ابن إسحاق رجل تُكْتَبُ عنه هذه الأحاديث -يعني المغازي ونحوها-، وإذا جاء الحلال والحرام أردنا قوما هكذا" وقبض أصابع يديه. فأحاديث السيرة وأخبارها لا تعامل معاملة أحاديث الحلال والحرام، لكن ليس معنى هذا أن لا تمخّص هذه المرويات؛ فإذا ورد مثلاً في خبر من أخبار السيرة حديث ضعيف، وورد خلافه في حديث صحيح؛ فالشأن هنا كما قال ابن مبارك رَحِمَهُ اللهُ: "في صحيح الحديث ما يغني عن سقيمه".

وقد قال العراقي في (ألفية السيرة):

وليُعلم الطالب أن السيرا تجمع ما صح وما قد أنكرا
والقصد ذكر ما أتى أهل السير به وإن إسنادهُ لم يُعْتَبَرْ
فإن يكن قد صح غير ما ذُكِرَ ذكرتُ ما قد صح فيه واستُطِرَ

وهذه مدارس لـ (الأرجوزة المئّية في ذكر حال أشرف البرية صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، للإمام ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ، وهي من أنفع مختصرات السيرة وأحسنها وضعاً، رتبها رَحِمَهُ اللهُ على حوادث السنين النبوية، وهي حرة بالحفظ والعناية.

[مقدمة المنظومة]

قال الشيخ أبو الحسن علي بن علي بن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْقَدِيمِ الْبَارِي ١ ثُمَّ صَلَاتُهُ عَلَى الْمُخْتَارِ

وَبَعْدُ هَاكَ سِيرَةَ الرَّسُولِ ٢ مَنْظُومَةٌ مُوجِزَةٌ الْفُصُولِ

(الحمد): الإخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، و(القديم) ليس من أسمائه تعالى، وإطلاقه عليه هو من باب الإخبار.

ابتدأ رَحِمَهُ اللهُ نظمه بالبسملة والحمدلة والصلاة، وهذا من آداب التصنيف. ثم تخلص إلى ذكر مقصوده رَحِمَهُ اللهُ فقال:

وَبَعْدُ هَاكَ سِيرَةَ الرَّسُولِ ٢ مَنْظُومَةٌ مُوجِزَةٌ الْفُصُولِ

(وبعد هاك سيرة الرسول): هاك: أي خذ سيرة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسيرة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي أخباره منذ ولادته إلى وفاته، كما قال ابن المناصف القرطبي:

عِلْمٌ بِأَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَوَّلِ الْبَدْءِ إِلَى التَّنَاهِي

(منظومة): أي: مجموعة، من النظم وهو الجمع، والنظم: الكلام الموزون المقفى قصداً. ومن المعلوم أن النظم سهل حفظه؛ لذا اعتنى العلماء بنظم مهمات الفنون ليحفظها طالب العلم فيكمل انتفاعه:

وصار من عادة أهل العلم أن يعتنوا في سير ذا بالنظم

لأنه يسهل للحفظ كما يروق للسمع ويشفي من ظما

(موجزة الفصول): فهي منظومة مختصرة أتى فيها على مهمات السيرة النبوية في مئة

بيت فقط.

[مولده واسترضاعه]

مَوْلَدُهُ فِي عَاشِرِ الْفَضِيلِ ٣ ربيع الأول عام الفيل
لَكِنَّمَا الْمَشْهُورُ ثَانِي عَشْرِهِ ٤ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ طُلُوعَ فَجْرِهِ
وَوَافَقَ الْعِشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَا ٥ وَقَبْلَهُ حَيْنُ أَبِيهِ حَنَا
وَبَعْدَ عَامَيْنِ غَدَا فَطِيمَا ٦ جَاءَتْ بِهِ مُرْضِعُهُ وَسَلِيمَا
حَلِيمَةً لِأُمِّهِ وَعَادَتْ ٧ بِهِ لِأَهْلِهَا كَمَا أَرَادَتْ
قال رحمه الله:

مَوْلَدُهُ فِي عَاشِرِ الْفَضِيلِ ٣ ربيع الأول عام الفيل

كانت ولادته صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول، واختلِف في أي يوم من شهر ربيع الأول كانت ولادته صلى الله عليه وسلم، ف قيل: في العاشر منه، قال: (مولده في عاشر الفضيل ربيع الأول).

(لكنما المشهور ثاني عشره): المشهور أن ولادته صلى الله عليه وسلم كانت في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، ويدل لهذا القول ما أخرجه ابن أبي شيبه والجورقاني في (الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير) عن جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنهما قالوا: "ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وفيه بعث، وفيه عرج إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات صلى الله عليه وسلم".

(عام الفيل): عام الفيل هو العام الذي أراد فيه أبرهة الحبشي أن يهدم الكعبة، فتوجه إلى مكة في جيش عرمرم، واستصحب معه فيلاً عظيماً لم يُر مثله، وقيل: كان معه عدد من الأفيال، فأهلكهم الله تعالى بأن أرسل عليهم طيراً أبابيل تحمل حجارة، فأهلكهم

وشتتهم وحمى الله بيته منهم. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ
الْفِيلِ ۚ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۚ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۖ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ
مِّن سِجِّيلٍ ۖ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝﴾ [الفيل]. فكانت العرب تؤرخ بهذه الحادثة
العظيمة على عادتهم في التأريخ بالحوادث الكبار.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - كما عند الحاكم -: "ولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام
الفيل". ورواه ابن إسحاق عن قيس بن مخزومة أنه قال: "ولدت أنا ورسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الفيل، فنحن لِدَتَانِ" أي: ولدنا في وقت واحد.
والمشهور أن ولادته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت بعد هذه الحادثة بخمسين يومًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (في يوم الاثنين طلوع فجره): هذا الذي عليه أكثر أهل السيرة أن
ولادته كانت في يوم اثنين وقت الفجر، وقيل: بل كانت وسط النهار، وقيل: بل ولد من
الليل. فهذه ثلاث أقوال: قيل: ولد يوم الاثنين طلوع فجره، وقيل: وسط النهار، وقيل:
ولد من الليل.

وليس لشيء من هذه الأقوال ما يُقطع معه بترجيحه على غيره، لكن المجزوم به أنه
ولد يوم الاثنين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في صحيح مسلم عن أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن صوم يوم الاثنين، فقال: «ذاك يومٌ وُلِدْتُ فيه، ويوم
بُعِثْتُ -أو قال: أنزل علي- فيه». فالمجزوم به أنه ولد يوم الاثنين، لكن متى كان ذلك؛ هل
كان في وقت طلوع الفجر أو كان وسط النهار، أو كان ولد من الليل، ليس على واحد
من هذه الأقوال الثلاثة ما يقطع معه بترجيحه، لكن الذي عليه أكثر أهل السيرة أنه كان
وقت طلوع الفجر.

وَوَافَقَ الْعِشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَا ٥ وَقَبْلَهُ حَيْنُ أَبِيهِ حَانَا

قال: (ووافق العشرين من نيسانا): نيسان هو الشهر الرابع من شهور السنة الشمسية الذي يقال له إبريل.

(وقبله حَيْنُ أَبِيهِ حَانَا): الحَيْن الموت، حان: حضر، يعني: توفي والده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يولد، قبل أن يولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفي والده. وقيل: إنه مات والده وهو صغير في المهد، وأنشدوا رجزاً لعبدالمطلب يقول فيه لابنه أبي طالب:

أوصيك يا عبدمناف بعدي

بمؤتم بعد أبيه فرد

فارقه وهو ضجيع المهد

أبو طالب اسمه عبد مناف، لكن الذي جزم به ابن اسحاق في السيرة - بل لم يذكر غيره - ورجحه ابن القيم وابن كثير أن وفاة والد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت قبل ولادته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الذي ذكره الناظم هنا (وقبله حَيْنُ أَبِيهِ حَانَا) أي: قبل مولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حضر أجل أبيه.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَبَعْدَ عَامَيْنِ غَدَا فَطِيمَا ٦ جَاءَتْ بِهِ مُرْضِعُهُ وَسَلِيمَا

حَلِيمَةً لِأُمِّهِ وَعَادَتْ ٧ بِهِ لِأَهْلِهَا كَمَا أَرَادَتْ

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرضعته أمه أياماً، ثم أرضعته ثوية مولاة أبي لهب، ثم أرضعته حليلة السعدية.

وحاصل خبر إرضاع حليلة له أنها قدمت إلى مكة في نسوة من بني بكر يلتمسن الرضعاء، فما منهن امرأة إلا عُرِضَ عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتأباه إذا قيل لها: إنه يتيم، وتقول: ما عسى أن تصنع أمه؟ وإنما نرجو المعروف والأجر من أبي الولد، فما بقيت

امراً إلا أخذت رضيعاً غير حليلة. فلما أجمعوا على الانطلاق قالت حليلة لزوجها -وهو الحارث بن عبد العزى-، قالت له: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحي وليس معي رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلاخذنه. فقال لها: لا عليك أن تفعلي فعسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. فما هو إلا أن أخذته حتى وجدت البركة، وأقبل ثديها عليه باللبن، وصارت شارفهم حافلاً باللبن، فشربوا منها حتى رووا.

ثم بعد عامين عادت به لأمه وقالت: دعينا نرجع بابتنا معنا؛ فإننا نخشى عليه وباء مكة. قالت: فوالله ما زلنا بها حتى قالت: نعم، فسرختها معنا.

وإلى هذا أشار الناظم بهذين البيتين:

وَبَعْدَ عَامَيْنِ غَدَا فَطِيمًا ٦ جَاءَتْ بِهِ مُرْضِعُهُ سَلِيمًا

حَلِيمَةً لِأُمِّهِ وَعَادَتْ ٧ بِهِ لِأَهْلِهَا كَمَا أَرَادَتْ

وهذه القصة -قصة إرضاع حليلة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقصة إقامته معها ببادية بني سعد- تفرد ابن إسحاق بروايتها، وفي إسنادها بعض الضعف، لكن لا شك في استرضاعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببادية بني سعد. ثبت ذلك في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنا دعوة أبي إبراهيم» إلى أن قال: «واسترضعت في بني سعد بن بكر»، وبنو سعد هم قوم حليلة من هوازن. فهذه القصة وإن كان في إسنادها كلام إلا أن معناها ثابت في هذا الحديث السابق. وثبت أيضاً قول هوازن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد حنين: "إنما في الحظائر -يعنون في الأسر- إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك".

[حادثة شق الصدر، ونشأته]

فَبَعْدَ شَهْرَيْنِ انْشَقَّ بَطْنُهُ ٨ وَقِيلَ بَعْدَ أَرْبَعٍ مِنْ سِنِّهِ
وَبَعْدَ سِتٍّ مَعَ شَهْرٍ جَائِي ٩ وَفَاةُ أُمِّهِ عَلَى الْأَبْوَاءِ
وَجَدُّهُ لِأَبِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ١٠ بَعْدَ ثَمَانٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ كَذِبٍ
ثُمَّ أَبُو طَالِبٍ الْعَمُّ كَفَلَ ١١ خِدْمَتَهُ، ثُمَّ إِلَى الشَّامِ رَحَلَ
بِهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ عَامٍ اثْنَيْ عَشَرَ ١٢ وَكَانَ مِنْ أَمْرِ بِحِيرَا مَا اشْتَهَرَ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَبَعْدَ شَهْرَيْنِ انْشَقَّ بَطْنُهُ ٨ وَقِيلَ بَعْدَ أَرْبَعٍ مِنْ سِنِّهِ

ذكر هنا حادثة شق صدر النبي ﷺ، وشق صدره الشريف ﷺ

الثابت حصوله مرتين:

الأولى: التي كانت في صغره، وهي في صحيح مسلم.

والثانية: التي كانت قبل الإسراء، وهي في الصحيحين.

وذكر أنه شقّ مرتين آخرين: وهو ابن عشر سنين، وعند البعث، لكن الثابت ما

سبق أنه شق في صغره وأنه شق قبل الإسراء.

أما حادثة شق الصدر التي ذكرها الناظم فأخرج خبرها مسلم في صحيحه عن أنس

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَامَانِ، فَأَخَذَهُ

فَصْرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِلْقَةً، فَقَالَ: هَذَا حِطُّ الشَّيْطَانِ

مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمٍ، ثُمَّ لَأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغُلَامَانِ

يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ -يَعْنِي ظَهْرَهُ- فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ. قَالَ

أَنَسُ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ ﷺ.

واختلف كم كان عمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين شق صدره في صغره:

ف قيل: كان ابن عامين وشهرين، هذا قول الناظم: (فبعد شهرين انشقاق بطنه)، أي: بعد شهرين من العامين الذين ذكرهما في قوله: (وبعد عامين غدا فطيما) أي: بعد عامين وشهرين.

وقيل: كان ذلك وهو ابن أربعة أعوام، قال: (وقيل بعد أربع من سنه). ويدل لهذا القول أنه ثبت عند ابن اسحاق أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حينئذ يرعى الغنم، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض» إلى آخر الخبر وذكر حادثة شق الصدر، وابن عامين لا يترشح لرعي الغنم، فهذا اللفظ يؤيد القول بأنه كان ابن أربعة أعوام. ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَبَعْدَ سِتٍّ مَعَ شَهْرٍ جَائِي ٩ وَفَاةُ أُمِّهِ عَلَى الْأَبَوَاءِ

بعد ست سنوات وشهر من مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذهبت أمه إلى أخواله من بني النجار، هم أخوال جده عبدالمطلب؛ فإن أم عبدالمطلب هي سلمى بنت عمرو من بني النجار، أم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمنة بنت وهب زهرية قرشية، وأم أبيه عبدالله فاطمة بنت عمرو بن عائذ من بني مخزوم، وأم جده عبدالمطلب سلمى بنت عمرو من بني النجار، فذهبت به أمه إلى أخوال جده في المدينة لزيارتهم، وفي طريق العودة من المدينة إلى مكة توفيت بالأبواء، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: زار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَجَدُّهُ لَلْأَبِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ١٠ بَعْدَ ثَمَانٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ كَذِبٍ

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كفالة جده عبدالمطلب، وكان جده يُفضّله على أولاده وأبنائه، ويُجلّسه في مجلسه، وكانت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنده حُظوة عظيمة، وكان لعبدالمطلب فراش حول الكعبة يجلس حوله بنوه، وكان يُجلس نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه معه، وكان لا يؤتى بطعام إلا قال: عليّ بابني، فيؤتى بنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيأكل معه. وقال بعضهم: حججت في الجاهلية، فبينما أنا أطوف بالبيت إذا رجل يقول:

رُدَّ إِلَيَّ رَاكِبِي مُحَمَّدًا

رُدَّهْ إِلَيَّ واصطنع عندي يدا

قلت: من هذا؟ قالوا: هذا عبدالمطلب بن هاشم بعث ابن ابنه في إبل له ضلت، وما بعثه بشيء إلا جاء به، قال: فما برحت حتى جاء بالإبل معه. فقال عبدالمطلب: يا بني، حزنت عليك كالمرأة حزناً لا يفارقي أبداً. ثم إن عبدالمطلب توفي ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن ثمان سنوات.

ثُمَّ أَبُو طَالِبٍ الْعَمُّ كَفَّلَ ١١ خِدْمَتَهُ، ثُمَّ إِلَى الشَّامِ رَحَلَ

بعد موت عبدالمطلب صارت كفالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبي طالب؛ وذلك لأمرين: الأول: أن عبدالمطلب أوصى بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه، والثاني: أن أبا طالب شقيق عبدالله والد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فتولى أبو طالب كفالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآزره بعد ذلك في دعوته وناصره ودافع عنه، ولكن القلوب بيد الله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، بقي على كفره إلى أن مات. وهو الذي كان يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي
وعرضت ديناً لا محالة إنه
لولا الملامة أو حذاري سُبَّةٌ
حتى أوسد في التراب دفيناً
وابشر وقرّ بذاك منك عيوننا
ولقد صدقت وكنت ثم أميناً
من خير أديان البرية ديناً
لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

وهو الذي يقول:

لعمري لقد كُلفتَ وجداً بأحمدٍ
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها
فمن مثله في الناس أيُّ مُؤمِّلٍ
حليمٍ رشيدٍ عادلٍ غير طائشٍ
فوالله لولا أن أجيء بسُبةٍ
لكنّا اتبعناه على كل حالة
لقد علموا أن ابننا لا مُكذَّبٌ
فأصبح فينا أحمدٌ في أرومةٍ
حدبُتْ بنفسي دونه وحميته
فأيده رب العباد بنصره
وإخوته دأب المحبِّ الموصلِ
وزيناً لمن والاه ذبَّ المَشاكِلِ
إذا قاسه الحكام عند التفاضلِ
يوالي إلهاً ليس عنه بغافلِ
تُجرُّ على أشياخنا في المحافلِ
من الدهر جدّاً غير قول التهازلِ
لدينا ولا يُعنى بقول الأباطلِ
تقصر عنه سَورةُ المتطاولِ
ودافعت عنه بالذرى والكلاكلِ
وأظهر ديناً حقه غير ناضلِ

وهو الذي يقول في هذه القصيدة التي يقول عنها ابن كثير يقول: هذه قصيدة

عظيمة فصيحة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه، يقول فيها:

كذبتهم وبيت الله تُبْزَى محمداً ولمّا نقاتلْ دونه وناضل
ونسلمه حتى نُصَرَّعْ حوله ونُذْهَلْ عن أبنائنا والحلائل
لكن - سبحان الله - القلوب بيد الله.

... ١١ ثُمَّ إِلَى الشَّامِ رَحَلَ

بِهِ، وَذَاكَ بَعْدَ عَامٍ اثْنَيْ عَشَرَ ١٢ وَكَانَ مِنْ أَمْرِ بِحِيرَا مَا اشْتَهَرَ

ذكر رَحْمَةُ اللَّهِ رحلة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأولى إلى الشام، وكان عمره إذ ذاك اثني عشرة سنة، خرج به أبوطالب معه لعدم من يقوم به إذا تركه بمكة، فرأى أبوطالب وأصحابه ممن خرج معه إلى الشام من الآيات فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما زاد عَمَّهُ في الوصاة به والحرص عليه؛ رأوا تظليل الغمامة له، وميل الشجرة بظلها عليه، وتبشير بحيرا الراهب به، وكان راهباً من رهبان النصارى، وأمر أبا طالب بالرجوع بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لئلا يراه اليهود فيرومونه سوءاً.

والحديث أخرجه الترمذي في جامعه وأصله ثابت كما ذكر ابن القيم وابن كثير وابن حجر، وإن كانت فيه زيادات ضعيفة، فيه: قال: فلم يزل يناشده -أي يناشد بحيرا أبا طالب- فلم يزل يناشده حتى رده أبوطالب وبعث معه أبوبكر بلائاً. والواقع أن بلائاً لم يكن قد ولد بعد، فكونه بعث معه بلائاً قال ابن القيم: هذا من الغلط الواضح. لكن أصل الحديث ثابت كما قاله جمع من المحدثين منهم ابن القيم وابن كثير وابن حجر.

[زواجه وأولاده، وبنيان الكعبة]

- وَسَارَ نَحْوَ الشَّامِ أَشْرَفُ الْوَرَى ١٣ فِي عَامِ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ اذْكُرَا
لَأُمْنًا خَدِيجَةَ مُتَّجِرًا ١٤ وَعَادَ فِيهِ رَابِحًا مُسْتَبْشِرًا
فَكَانَ فِيهِ عَقْدُهُ عَلَيْهَا ١٥ وَبَعْدَهُ إِفْضَاؤُهُ إِلَيْهَا
وَوُلْدُهُ مِنْهَا خَلَا إِبْرَاهِيمَ ١٦ فَالْأَوَّلُ الْقَاسِمُ حَازَ التَّكْرِيمَ
وَزَيْنَبُ، رُقَيْيَةُ، وَفَاطِمَةُ ١٧ وَأُمُّ كُلْثُومٍ لَهْنٌ خَاتِمَةٌ
وَالطَّيِّبُ الطَّاهِرُ عَبْدُ اللَّهِ ١٨ وَقِيلَ: كُلُّ اسْمٍ لَقَرْدٍ زَاهِي
وَالْكُلُّ فِي حَيَاتِهِ ذَاقُوا الْحِمَامَ ١٩ وَبَعْدَهُ فَاطِمَةُ بِنُصْفِ عَامٍ
وَبَعْدَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ حَضَرَ ٢٠ بُيُوتَ اللَّهِ لَمَّا أَنْ دَنَرَ
وَحَكَّمُوهُ وَرَضُوا بِمَا حَكَمَ ٢١ فِي وَضْعِ ذَاكَ الْحَبْرِ الْأَسْوَدِ ثَمَّ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

- وَسَارَ نَحْوَ الشَّامِ أَشْرَفُ الْوَرَى ١٣ فِي عَامِ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ اذْكُرَا
لَأُمْنًا خَدِيجَةَ مُتَّجِرًا ١٤ وَعَادَ فِيهِ رَابِحًا مُسْتَبْشِرًا

(وسار) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (نحو الشام) رحل الرحلة الثانية إلى الشام للمتاجرة بمال خديجة وكان عمره إذ ذاك خمسًا وعشرين سنة. (لأمنًا خديجة متَّجِرًا): منه المتاجرة أي العمل ومنها هي المال، وهذا المسمى عند الفقهاء بالقراض والمضاربة. (وعاد فيه رابحًا مستبشِرًا): رأى ميسرة غلام خديجة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما بهره، فأخبر خديجة بما رأى، فرغبت إلى أن يتزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة.

فَكَانَ فِيهِ عَقْدُهُ عَلَيْهَا ١٥ وَبَعْدَهُ إِفْضَاؤُهُ إِلَيْهَا

تزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، وكان عمرها إذ ذاك على المشهور أربعين سنة، وقيل: بل كان عمرها ثمان وعشرون سنة، روايتان. ونالت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بذلك من الشرف ما لا يخطر بالبال. وخصائصها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاهها كثيرة؛ منها: أنها أول امرأة تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها: أنه لم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت، ومنها: أنها أول من آمن به من النساء، بل أول من آمن به مطلقاً لم يتقدمها رجل ولا امرأة، ومنها ما ذكره الناظم بعد ذلك: أن كل أولاده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها إلا إبراهيم فإنه من سُرِّيَّته مارية القبطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فلم يلد للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أزواجه إلا خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاهها.

وَوُلِدَهُ مِنْهَا خَلَا إِبْرَاهِيمَ ١٦ فَالْأَوَّلُ الْقَاسِمُ حَازَ التَّكْرِيمَ

هذه القصيدة على بحر الرجز، لكن هذا البيت ليس من بحر الرجز بل هو من بحر السريع وهو من مشطور السريع. وبحر السريع قريب من بحر الرجز؛ لذا قد يحصل عند بعض النُظَّام تداخل البحرين، لكنك لا تجده عند ابن مالك وابن عاصم وأضرابهما. قال: (وَوُلِدَهُ مِنْهَا): من خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (خلا إبراهيم): إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية كما سبق، هذا قوله: (وَوُلِدَهُ) الولد جمع ولد، يطلق على الذكر والأنثى. قال: (فالأول القاسم حاز التكريم): أول أولاده القاسم، وبه كان يكنى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو أكبر أولاده.

وَزَيْنَبٌ، رُقِيَّةٌ، وَفَاطِمَةٌ ١٧ وَأُمُّ كُلْثُومٍ لَّهُنَّ خَاتِمَةٌ

(وزينب، رقية): عطف هنا بحذف العاطف. ظاهر البيت أنه يختار أن صُغْرَاهُنَّ أم كلثوم، والذي عليه أكثر العلماء أن الصغرى فاطمة. وكلهن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ وأرضاهن أدركن الإسلام وأسلمن معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالطَّيِّبُ الطَّاهِرُ عَبْدُ اللَّهِ ١٨ وَقِيلَ: كُلُّ اسْمٍ لِفَرْدٍ زَاهِي

الزاهي هو الجميل المشرق، يعني أن الطيب والطاهر لقبان لعبدالله، وليس ابنين آخرين للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (وقيل: كل اسم لفرد زاهي): هذا قول آخر حكاه بصيغة التمريض، فالمعتمد الأول.

وَالْكُلُّ فِي حَيَاتِهِ ذَاقُوا الْحَمَامَ ١٩ وَبَعْدَهُ فَاطِمَةُ بِنُصْفِ عَامٍ

(الحمام): الموت، يقول: إن كل أولاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفوا في حياته، إلا فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فإنها توفيت بعده بنصف عام.

في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عاشت بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستة أشهر. وفيهما أيضاً عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي»، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرَّ إليها حديثاً فبكت، ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن! فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى قبض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألتها فقالت: أسرَّ إليّ: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي» فبكيت، فقال: «أما ترضين أن تكوني سيدة أهل الجنة -أو قال: نساء المؤمنين-؟» فضحكت لذلك.

وَبَعْدَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ حَضَرَ ٢٠ بُيُوتَ اللَّهِ لَمَّا أَنْ دَنُرُ

وَحَكَّمُوهُ وَرَضُوا بِمَا حَكَمَ ٢١ فِي وَضْعِ ذَاكَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ثُمَّ

لما أكمل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمسًا وثلاثين سنة حضر بناءً قريش للكعبة وشارك فيه، وذلك لما تصدعت جدرانها، هذا معنى قوله: (لما أنْ دَثِرَ): دثر الرسم: درس وذهب أثره، لما تصدعت جدرانها فاحتاجت إلى أن يعاد بناؤها من جديد.

وخبر مشاركة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بناء الكعبة جاء في الصحيحين من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "لما بنيت الكعبة ذهب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعباس ينقلان الحجارة، فقال عباس للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة. فَخَرَّ إلى الأرض وَطَمَحَتْ عيناه، ثم أفاق، فقال: «إِزَارِي إِزَارِي!» فشد عليه إزاره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". وقد كان ذلك وعمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمس وثلاثون سنة، وقد قال أبو الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان بين الكعبة -أي بين بنائها- وبين ما أنزل الله عليه خمس سنوات.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَحَكَّمُوهُ وَرَضُوا بِمَا حَكَمَ ٢١ فِي وَضْعِ ذَاكَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ثَمَّ

لما وصلت قبائل قريش إلى موضع الحجر اختلفوا اختلافًا شديدًا؛ كل قبيلة تريد أن يكون لها شرف وضع الحجر في موضعه، فاختصموا وكادوا أن يقتتلوا.

روي أن أبا أمية بن المغيرة -وهو والد أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قال: حكموا أول رجل يطلع عليكم، ففعلوا فكان أول داخل عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد. فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هلم إلي ثوبًا» فأُتي به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعًا» حتى إذا بلغوا به جميعًا موضعه وضعه هو بيده ثم بُني عليه.

[بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والجره بالدعوة]

وَبَعْدَ أَرْبَعِينَ عَامًا أُرْسِلَا ٢٢ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ يَقِينًا فَاَنْقَلَا
فِي رَمَضَانَ أَوْ ربيعِ الْأَوَّلِ ٢٣ وَسُورَةُ ﴿اَقْرَأْ﴾ اَوَّلُ الْمُنَزَّلِ
ثُمَّ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ عَلَّمَهُ ٢٤ جِبْرِيلُ وَهِيَ رَكْعَتَانِ مُحْكَمَةٌ
ثُمَّ مَضَتْ عِشْرُونَ يَوْمًا كَامِلَةً ٢٥ فَرَمَتْ الْجِنَّ نُجُومًا هَائِلَةً
ثُمَّ دَعَا فِي رَابِعِ الْأَعْوَامِ ٢٦ بِالْأَمْرِ جَهْرَةً إِلَى الْإِسْلَامِ
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَبَعْدَ أَرْبَعِينَ عَامًا أُرْسِلَا ٢٢ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ يَقِينًا فَاَنْقَلَا

وفي نسخة: (وبعد عام أربعين أرسلًا). جاء في الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: "بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوْحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ".
(في يوم الاثنين): يوم الاثنين ارتبطت به الحوادث المهمة في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيه ولد، وفيه أنزل عليه، وفيه عرج إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (يقينا فانقلا): لا خلاف فيه؛ لأنه ثابت في صحيح مسلم من حديث أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: «ذاك يوم ولد فيه، ويوم بعثت -أو قال: أنزل علي- فيه».

فِي رَمَضَانَ أَوْ ربيعِ الْأَوَّلِ ٢٣ وَسُورَةُ ﴿اَقْرَأْ﴾ اَوَّلُ الْمُنَزَّلِ

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَانَ ذَلِكَ فِي يَوْمِ اِثْنَيْنٍ، لَكِنْ فِي
أَيِّ شَهْرٍ كَانَتْ بَعْثَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قولان:

الأكثر على أنه كان في ربيع الأول، ويدل له الأثر الذي تقدم عن جابر وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الكلام عن مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: "ولد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول وفيه بعث".

ومن قال: إن بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت في رمضان احتج بقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وبعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت بإنزال القرآن عليه؛ إذا كانت بعثته في رمضان.

وأجاب الأولون عن هذا بأن المقصود به إنزال القرآن في رمضان جملة واحدة في ليلة القدر، لأن إنزال القرآن نوعان: إنزال كتابة، وإنزال تكليم. إنزال الكتابة كان لما أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وإنزال التكليم تكلم الله تعالى به وسمعه منه جبريل وسمعه نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جبريل.

قالوا: فالمقصود بهذه الآية ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ إنزال الكتابة. وهذا مذهب الجمهور أن بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت في ربيع الأول.

قال: (وسورة ﴿أَقْرَأْ﴾ أول المنزل): المقصود صدر سورة ﴿أَقْرَأْ﴾، وذلك في حديث بدء الوحي في الصحيحين عندما جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له: اقرأ، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أنا بقارئ»، قال: «فأخذي فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذي فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذي فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾».

فإن قال قائل: في الصحيحين عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سئل: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ①﴾، فما الجواب؟

أجاب العلماء عن هذا بأجوبة، منها:

أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر؛ لأنه في حديث جابر نفسه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإذا الملك الذي جاءني بحراء**» إلى أن قال: ثم تتابع الوحي، فهذا يدل على أنه كان بعد أن نزل صدر سورة ﴿**أَقْرَأْ**﴾، وأنه كان بعد فتور الوحي، فهذا قول. وقيل: المقصود في حديث جابر أولية مخصوصة أي أول ما أنزل للإنذار، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي ﴿**أَقْرَأْ**﴾ وأرسل بالمدثر.

وقيل: المقصود أول سورة كاملة، فأول سورة كاملة هي سورة المدثر، وأول ما نزل مطلقاً صدر ﴿**أَقْرَأْ**﴾. قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُمَّ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ عَلَّمَهُ ٢٤ جِبْرِيلُ وَهِيَ رَكْعَتَانِ مُحْكَمَةٌ

لا خلاف بين جميع أهل السيرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ افتضت عليه الصلاة بمكة لم يصل إلا بوضوء هو مثل وضوئنا اليوم، ورد في مسند الإمام أحمد عن زيد ابن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أتاه في أول ما أوحى إليه فعلمه الوضوء والصلاة. وهذا الحديث ضعيف الإسناد، لكن كما سبق منذ أن فرضت الصلاة وهي لا تصلى إلا بوضوء. قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُمَّ مَضَتْ عِشْرُونَ يَوْمًا كَامِلَةً ٢٥ فَرَمَتْ الْجِنَّ نُجُومًا هَائِلَةً

بعد عشرين يومًا من مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمي الجن بالشهب، وكانت ترمى بها من قبل لكن ذلك كان قليلًا، فلما بُعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شُدَّد فيه كما قال الله تعالى في سورة الجن: ﴿**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا** ٨ **وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا** ٩﴾ [الجن].

قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

ثُمَّ دَعَا فِي رَابِعِ الْأَعْوَامِ ٢٦ بِالْأَمْرِ جَهْرَةً إِلَى الْإِسْلَامِ

وفي نسخة (في أربع الأعوام). بقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث سنين يدعو سرًّا، ثم في السنة الرابعة جَهْرًا بالدعوة لَمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

[الهجرة إلى الحبشة، وإسلام حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وَأَرْبَعٌ مِّنَ النِّسَاءِ وَاثْنَا عَشَرَ ٢٧ مِّنَ الرِّجَالِ الصَّحْبِ كُلُّ قَدْ هَجَرَ
إِلَى بِلَادِ الْحُبَشِ فِي خَامِسِ عَامٍ ٢٨ وَفِيهِ عَادُوا ثُمَّ عَادُوا لَا مَلَامَ
ثَلَاثَةً هُمْ وَثَمَانُونَ رَجُلًا ٢٩ وَمَعَهُمْ جَمَاعَةٌ حَتَّى كَمُلَ
وَهُنَّ عَشْرٌ وَثَمَانٍ، ثُمَّ قَدْ ٣٠ أَسْلَمَ فِي السَّادِسِ حَمَزَةُ الْأَسَدُ

لما رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يصيب أصحابه من البلاء والتعذيب وأنه لا
يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة؛ فإن بها
ملكًا لا يُظلم عنده أحد وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه»، فخرج
عند ذلك جماعة من المسلمين مخافة الفتنة وفرارا إلى الله.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَرْبَعٌ مِّنَ النِّسَاءِ وَاثْنَا عَشَرَ ٢٧ مِّنَ الرِّجَالِ الصَّحْبِ كُلُّ قَدْ هَجَرَ
إِلَى بِلَادِ الْحُبَشِ فِي خَامِسِ عَامٍ ٢٨ وَفِيهِ عَادُوا ثُمَّ عَادُوا لَا مَلَامَ

قال: (وأربع من النساء واثنا عشر من الرجال الصحب): هذا عدد المهاجرين
الهجرة الأولى، (كلُّ قَدْ هَجَرَ إِلَى بِلَادِ الْحُبَشِ) وفيها النجاشي واسمه أصحمة، وكان ملكًا
لا يُظلم عنده أحد، فجعل الله للمسلمين فرجا ومخرجا؛ آمنوا على دينهم ولم يخشوا ظلمًا.
وكان ممن هاجر هذه الهجرة الأولى إلى الحبشة عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو سلمة وزوجه أم سلمة.

(في خامس عام): هجرتهم كانت في العام الخامس في شهر رجب، (وفيه عادوا)
أي: في العام الخامس أيضًا عادوا إلى مكة، وكان ذلك في شوال؛ لأنه بلغهم أن قريشًا
أسلمت وأن الأمور صلحت، فرجعوا من الحبشة إلى مكة، ولما وصلوا أو قاربوا الوصول إلى

مكة تبين لهم أن الأمر أشد مما كان عليه، فانقسموا قسمين: رجع منهم من رجع إلى الحبشة (ثم عادوا لا ملام)، ودخل جماعة مكة.

٢٨ وَفِيهِ عَادُوا ثُمَّ عَادُوا لَا مَلَامَ ...

ثَلَاثَةٌ هُمْ وَثَمَانُونَ رَجُلٌ ٢٩ وَمَعَهُمْ جَمَاعَةٌ حَتَّى كُمُلَ

وَهُنَّ عَشْرٌ وَثَمَانٍ، ثُمَّ قَدْ ٣٠ أَسْلَمَ فِي السَّادِسِ حَمْزَةُ الْأَسَدِ

(ثم عادوا لا ملام): عدد المهاجرين في الهجرة الثانية إلى الحبشة ثلاثة وثمانون رجلاً، هذا قوله (ثلاثة هم وثمانون رجل) وثمانى عشرة امرأة هذا قوله (وهن عشر وثمان).

(ومعهم جماعة حتى كُمُل) أو (ومعهم جماعة حتى كُمُل) هذه نسخة، ولك أن تقرأها: (ومعهم جماعة حتى كُمُل): بعد الهجرة الثانية إلى الحبشة بمدة لحقهم قوم من الأشعرين فيهم أبو موسى الأشعري؛ فإتبعهم لما بلغهم مخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المدينة ركبوا البحر من اليمن ابتغاء الوصول إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فانكسرت بهم السفينة فألقتهم سفينتهم إلى النجاشي بالحبشة، ووافقوا جعفر بن أبي طالب عنده، وكان أصحابه معه، فقال جعفر: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثنا هاهنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا. قال: فأقمنا معه.

(ثم قد أسلم في السادس حمزة الأسد): في العام السادس من البعثة أسلم حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخوه من الرضاع، أرضعتها ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابنها مسروح، وكان حمزة أسنَّ من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسنتين، ويروى أنه قال بعدما أسلم:

حَمِدْتُ حِينَ هَدَى فؤَادِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَالِدِينَ الْحَنِيفِ

لِدِينِ جَاءَ مِنْ رَبِّ عَزِيزٍ خَبِيرٍ بِالْعِبَادِ بِهِمْ لَطِيفٍ

إِذَا تَلَيْتَ رِسَائِلَهُ عَلَيْنَا تَحَدَّرَ دَمْعُ ذِي اللَّبِّ الْحَصِيفِ

وسُرَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلَامِهِ، وَأَدْرَكَتْ قَرِيشُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ امْتَنَعَ وَأَنَّ حَمْزَةَ سَيَمْنَعُهُ.

بعد إسلام حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَيَّامِ أَسْلَمِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَكَانَ فِي إِسْلَامِهِمَا عِزٌّ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: "مَا زِلْنَا أَعَزَّةً مِنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ".

[وفاة أبي طالب وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وإسلام الجن]

وَبَعْدَ تِسْعٍ مِنْ سِنِي رَسُولِهِ ٣١ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ ذُو كِفَالَتِهِ

وَبَعْدَهُ خَدِيجَةُ تُوفِّيَتْ ٣٢ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ ثَلَاثَةٍ مَضَتْ

وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَرُبْعٍ أَسْلَمَا ٣٣ جِنُّ نَصِيبِينَ وَعَادُوا فَأَعْلَمَا

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَبَعْدَ تِسْعٍ مِنْ سِنِي رَسُولِهِ ٣١ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ ذُو كِفَالَتِهِ

وَبَعْدَهُ خَدِيجَةُ تُوفِّيَتْ ٣٢ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ ثَلَاثَةٍ مَضَتْ

المشهور عند أهل السيرة أن موتهما كان في العام العاشر من البعثة، وكان موت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام.

أبو طالب الذي كان يدفع عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينصره، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "ما زالت قريش كاعَّةً حتى توفي أبو طالب؛" تعني أنه لما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب. وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التي كانت وزيرة صدق للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ تثبته وتهون عليه ما يلقي من قومه وتخفف عنه.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَرُبْعٍ أَسْلَمَا ٣٣ جِنُّ نَصِيبِينَ وَعَادُوا فَأَعْلَمَا

بعد خمسين سنة وثلاثة أشهر من عمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدم عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفد جن نصيبين وأسلموا، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في البخاري: «أتاني وفد جن نصيبين، ونعم الجن!»، ونصيبين بلدة بين تركيا وسوريا.

وقد تعددت وفادة الجن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا الوفد منها.

(وعادوا فاعلموا): معناها أنهم رجعوا إلى قومهم منذرين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف].

[زواجه من سودة وعائشة، والإسراء والمعراج]

ثُمَّ عَلَى سَوْدَةَ أَمْضَى عَقْدَهُ ٣٤ فِي رَمَضَانَ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ

عَقْدُ ابْنَةِ الصَّدِيقِ فِي شَوَّالٍ ٣٥ وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَعَامٍ تَالِي

أُسْرِي بِهِ، وَالصَّلَوَاتُ فُرِضَتْ ٣٦ خَمْسًا بِخَمْسِينَ كَمَا قَدْ حُفِظَتْ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُمَّ عَلَى سَوْدَةَ أَمْضَى عَقْدَهُ ٣٤ فِي رَمَضَانَ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ

ولك أن تقول:

ثُمَّ عَلَى سَوْدَةَ أَمْضَى عَقْدَهُ ٣٤ فِي رَمَضَانَ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ

عَقْدُ ابْنَةِ الصَّدِيقِ فِي شَوَّالٍ ٣٥

(ثُمَّ عَلَى سَوْدَةَ أَمْضَى عَقْدَهُ فِي رَمَضَانَ) من السنة العاشرة، وكان ذلك بعد وفاة

خديجة بشهرين؛ لأن وفاتها كانت في رجب من السنة العاشرة. لما توفيت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: «نعم، فما

عندك؟»، قالت: بكر وثيب، قال: «فمن البكر؟»، قالت: ابنة أحب خلق الله إليك؛

عائشة بنت أبي بكر، قال: «ومن الثيب؟»، قالت: سودة بنت زمعة؛ فإنها آمنت بك

واتبعتك على ما تقول. قال: «فاذهبي فاذكريهما علي».

وصحح ابن كثير وغيره أن عقده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عائشة كان قبل زواجه

بسودة، ومما يشهد له ما في صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: "وكانت أول

امرأة تزوجها بعدي"؛ معناه أنه عقد على سودة بعد أن عقد على عائشة، لكنه ما دخل

بعائشة إلا بعد ذلك بثلاث سنين.

وفي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: "تزوجني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا بنت ست سنين، وبني بي وأنا بنت تسع سنين".

وقد جمع بعضهم زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإحدى عشرة في بيت واحد على الترتيب الذي تزوجهن عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على طريق الإشارة، قال:

خليلي سبي عقلي حُلا زَيْنِ هَالَةٍ زها جفنها رمزًا صحيحًا مهذبًا

(خليلي) الحاء: لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (سبي) السين: سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (عقلي) العين: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (حُلا) الحاء: حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (زين) الزاي: زينب بنت خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (هالة) الهاء: هند التي هي أم سلمة هند بنت أبي أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(زها) الزاي: زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (جفنها) الجيم: جويرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (رمزًا) الراء: رملة بنت أبي سفيان أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (صحيحًا) الصاد: صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (مهذبًا) الميم: ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ونظمهُنَّ الشيخ غالي بن مختار فال الأنصاري الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في (نظم أمهات المؤمنين) بأبسط من هذا، فقال:

أولهن حُبَيْت تُزَوِّجُهُ	خير النساء أُمُّنا خديجة
فسودة، عائشة، فحفصة،	فزنب، فهند، ثم برّة
أي زينب، فأُمُّنا جُوَيْرِيّة،	فرملة، صفية النَّضِيرِيّة
فأُمُّنا أختُ بني هلالٍ	ميمونة صاحبة الكمال

سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت قبله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند السكران بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان قد هاجر بها إلى الحبشة، ثم لما رجعوا إلى مكة توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ومن خصائصها أنها آثرت بيومها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ وذلك أنها لما كبرت وفرقت أن يفارقها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

خشيت أن يفارقها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، آثرت أن تبقى معه زوجة له لتحظى بأن تكون زوجًا له في الجنة، فأثرت عائشة بيومها فوهبته لها.

ومن خصائص عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه لم يتزوج بكراً غيرها، وأنها أحبُّ أزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه، وأن الوحي كان ينزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو معها في لحافها، وأن براءتها نزلت بوحي يتلى؛ وهي الآيات في سورة النور في براءتها من الإفك الذي رميت به، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفي في بيتها بين سحرها ونحرها. ومن خصائصها أنها أفقه نسائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل أفقه نساء الأمة، بل أفقه النساء مطلقاً منذ أن خلق الله حواء إلى يوم القيامة.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٥ وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَعَامٍ تَالِي

أُسْرِي بِهِ، وَالصَّلَوَاتُ فُرِضَتْ ٣٦ خَمْسًا بِخَمْسِينَ كَمَا قَدْ حُفِظَتْ

بعد واحد وخمسين عاماً من عمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به في الليلة نفسها إلى ما فوق السماء السابعة، وفي كل سماء يقال: من هذا؟ فيجيب جبريل ويقول: جبريل. فيقال: من معك؟ فيقول: محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فيقال: وقد أرسل إليه؟ فيقول جبريل: نعم. فيقال: مرحبا به، فنعم المحيي جاء! هكذا في كل سماء.

لقي في السماء الدنيا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي الثانية عيسى ويحيى ابني الخالة، وفي الثالثة يوسف، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى، وفي السابعة إبراهيم عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام. وهم مجموعون بترتيبهم في قولك: (أعي فاهما): الهمزة: لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، العين والياء: لعيسى ويحيى ابني الخالة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، الفاء: ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، الألف بعد الفاء: لإدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ، الهاء: لهارون عَلَيْهِ السَّلَامُ، الميم: لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، الألف في آخر الكلمة: لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثم عُرج به إلى سدره المنتهى، ورأى جبريل على الصورة التي خلقه الله عليها، وفُرضت عليه الصلوات الخمس.

(**خَمْسًا بِخَمْسِينَ**): معناه أنها خمس بالفعل بخمسين بالأجر، وقد كان الذي فرض الله على الأمة خمسين صلاة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الإسراء: «فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فأني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا ربّ، خفف على أمتي. فحط عني خَمْسًا، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خَمْسًا، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أراجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة» وفي رواية أنه قال: «هي خمس وهن خمسون، لا يُبَدَّلُ القول لديّ»، (هي خمس): أي في الفعل، (وهي خمسون): أي في الأجر، وهذا قول الناظم: (**خَمْسًا بِخَمْسِينَ كَمَا قَدْ فَرَضْتَ**).

[بيعتا العقبة، والهجرة]

وَالْبَيْعَةُ الْأُولَى مَعَ اثْنَيْ عَشَرَ ٣٧ مِنْ أَهْلِ طَيْبَةِ كَمَا قَدْ ذُكِرَا
وَبَعْدَ ثَتْنَيْنِ وَخَمْسِينَ أَتَى ٣٨ سَبْعُونَ فِي الْمَوْسِمِ هَذَا ثَبَتَا
مِنْ طَيْبَةِ فَبَايَعُوا، ثُمَّ هَجَرُوا ٣٩ مَكَّةَ يَوْمَ اثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ
فَجَاءَ طَيْبَةَ الرِّضَا يَقِينَا ٤٠ إِذْ كَمَلَ الثَّلَاثَ وَالْخَمْسِينَ
فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ، وَدَامَ فِيهَا ٤١ عَشْرَ سِنِينَ كُمَّلاً نَحْكِيهَا
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْبَيْعَةُ الْأُولَى مَعَ اثْنَيْ عَشَرَ ٣٧ مِنْ أَهْلِ طَيْبَةِ كَمَا قَدْ ذُكِرَا

كانت البيعة الأولى في السنة الثانية عشرة من البعثة، وكان لقي في السنة التي قبلها ستة من الخرج فدعاهم وتلا عليهم شيئاً من القرآن فأسلموا، وكانت البيعة الأولى في السنة الثانية عشرة من البعثة، لقي فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثني عشر رجلاً وبايعوه على الإسلام، ثم رجعوا إلى قومهم ومعهم مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
فلما كان في موسم العام الثالث عشر من البعثة حصلت بيعة العقبة الثانية التي ذكرها في قوله:

وَبَعْدَ ثَتْنَيْنِ وَخَمْسِينَ أَتَى ٣٨ سَبْعُونَ فِي الْمَوْسِمِ هَذَا ثَبَتَا
مِنْ طَيْبَةِ فَبَايَعُوا، ثُمَّ هَجَرُوا ٣٩ مَكَّةَ يَوْمَ اثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ
والفرق بينهما:

- أن الأولى كانت على الإسلام، وأما الثانية فكانت على الإيواء والنصرة.
- الأولى كانت في السنة الثانية عشرة، والثانية كانت في السنة الثالثة عشرة.

- الأولى عدد المبايعين فيها اثنا عشر رجلاً، والثانية عدد المبايعين فيها -على ما ذكره الناظم هنا-: (أتى سبعون في الموسم هذا ثبتاً).

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وبعد ثنتين وخمسين): أي بعد ثنتين وخمسين سنة من عمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (أتى سبعون) وقيل: بل كانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين كما في سيرة ابن إسحاق. (في الموسم): في موسم الحج، (هذا ثبتاً). (من طيبة): أتوا من طيبة (فبايعوا). (ثم هجر مكة يوم اثنين من شهر صفر): المشهور أن هجرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت في شهر ربيع الأول، كما في أثر جابر وابن عباس السابق، وفيه: "وفيه هاجر" أي في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فهذا هو المشهور. قيل: إن هجرته كانت في صفر، لكن المشهور أنها كانت في ربيع الأول. قال رَحِمَهُ اللهُ:

فَجَاءَ طَيْبَةَ الرُّضَا يَقِينَا ٤٠ إِذْ كَمَلَ الثَّلَاثَ وَالْخَمْسِينَ

فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ، وَدَامَ فِيهَا ٤١ عَشْرَ سِنِينَ كُمَّلاً نَحْكِيهَا

(فجاء طيبة): جاء المدينة النبوية (الرضا): النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يقينا)، (إذ كمل الثلاث والخمسين): كان عمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين هاجر ثلاثاً وخمسين سنة. (في يوم الاثنين): كانت هجرته من مكة في يوم الاثنين، وكان وصوله إلى المدينة أيضاً في يوم الاثنين.

(ودام فيها عشر سنين كُمَّلاً نحكيها): بقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة عشر سنين، في الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: "بُعِثَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه -هذا شاهد قوله: (إذ كمل الثلاث والخمسين)-، ثم أُمِرَ بالهجرة فهاجر عشر سنين -هذا شاهد قوله: (ودام فيها عشر سنين)-، ومات وهو ابن ثلاث وستين".

[حوادث السنة الأولى]

- أَكْمَلَ فِي الْأُولَى صَلَاةَ الْحَضَرِ ٤٢ مِنْ بَعْدَمَا جَمَعَ فَاسْمَعَ خَبْرِي
 ثُمَّ بَنَى الْمَسْجِدَ فِي قُبَاءٍ ٤٣ وَمَسَّحَدَ الْمَدِينَةَ الْغُرَاءِ
 ثُمَّ بَنَى مِنْ حَوْلِهِ مَسَاكِينَهُ ٤٤ ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدُ فِي هَذِي السَّنَةِ
 أَقْلٌ مِنْ نِصْفِ الَّذِينَ سَافَرُوا ٤٥ إِلَى بِلَادِ الْحُبْشِ حِينَ هَاجَرُوا
 وَفِيهِ آخَى أَشْرَفُ الْأَخْيَارِ ٤٦ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
 ثُمَّ بَنَى بِابْنَةِ خَيْرِ صَاحِبِهِ ٤٧ وَشَرَعَ الْأَذَانَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ
 وَغَزَوَةَ الْأَبْوَاءِ بَعْدُ فِي صَفَرٍ ٤٨ ...

شرح الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يذكر حوادث السنة الأولى من هجرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال:

أَكْمَلَ فِي الْأُولَى صَلَاةَ الْحَضَرِ ٤٢ مِنْ بَعْدَمَا جَمَعَ فَاسْمَعَ خَبْرِي

(أَكْمَلَ فِي الْأُولَى): أي في السنة الأولى من هجرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (صَلَاةَ الْحَضَرِ)؛ فالظهر والعصر والعشاء كانت تصلى في مكة ركعتين، فلما هاجر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صارت أربع ركعات، في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: "فرضت الصلاة ركعتين، ثم هاجر ففرضت أربعاً، وَتَرَكْتُ صَلَاةَ السَّفَرِ عَلَى الْأُولَى" أي بقيت الظهر والعصر والعشاء ركعتين كما كانت في مكة قبل الهجرة، قال الشيخ بَبَّهَا وَلَدُ الْعَاقِلِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي نَظْمِهِ (حوادث السنين النبوية):

وبعد شهر من قدوم المضي قد تُمَمَّتْ لَهُ صَلَاةُ الْحَضَرِ

قال: (مِنْ بَعْدَمَا جَمَعَ فَاسْمَعَ خَبْرِي): النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن يتمكن من إقامة الجمعة بمكة لشدة مخالفة المشركين وأذيتهم له، وأول الجمعة صلاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي التي كانت بعد هجرته، زالت عليه الشمس يوم الجمعة وهو بين قباء والمدينة في وادي

رانوناء في بني سالم بن عوف. ثم بعد ذلك بُني مسجدُ هناك سُمِّيَ (مسجد الجمعة)، وهو معروف اليوم بين المسجد النبوي ومسجد قباء.

ثُمَّ بَنَى الْمَسْجِدَ فِي قُبَاءٍ ٤٣ وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ الْغَرَاءِ

(ثم بنى المسجد في قباء): لما وصل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قباء أول ما فعل أنه بنى مسجد قباء، وهو أول مسجد بُني في الإسلام، وهو المسجد الذي أُسس على التقوى. وقد أقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة كما في الصحيحين، ثم اتجه من قباء إلى المدينة، وأدركه وقت الزوال وهو في الطريق فصلى بها الجمعة كما سبق.

(ومسجد المدينة الغراء): لما قدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة بركت ناقته قريباً من دار أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فبنى مسجده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هناك وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتييمين في حجر أسعد بن زرارَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاشتري صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكانه وبنى مسجده في ذلك المكان.

ثُمَّ بَنَى مِنْ حَوْلِهِ مَسَاكِنَهُ ٤٤ ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدُ فِي هَذِي السَّنَةِ

أَقْلَ مِنْ نِصْفِ الَّذِينَ سَافَرُوا ٤٥ إِلَى بِلَادِ الْحُبَشِ حِينَ هَاجَرُوا

قال: (ثم بنى من حوله مساكنه): ولم يكن البناء دفعة واحدة، لكنه بناها بالتدريج. وقد كانت في عصمته امرأتان سودة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولم يكن قد بنى بعائشة، فلما تزوج عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنى لها، ثم كلما تزوج امرأة بنى لها مسكناً.

٤٤ ... ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدُ فِي هَذِي السَّنَةِ

أَقْلَ مِنْ نِصْفِ الَّذِينَ سَافَرُوا ٤٥ إِلَى بِلَادِ الْحُبَشِ حِينَ هَاجَرُوا

عدد الذين هاجروا إلى الحبشة الهجرة الثانية ثلاثة وثمانون رجلاً وثمانية عشرة امرأة، والذين رجعوا ثلاثة وثلاثون وثمانية نسوة، وهذا أقل من النصف، أتوا المدينة بعد سماعهم بهجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَفِيهِ آخَى أَشْرَفُ الْأَخْيَارِ ٤٦ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

آخى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار؛ لتذهب عن المهاجرين وحشة الغربة ووحشة مفارقة الأهل والعشيرة؛ فإنهم تركوا بمكة أموالهم لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وكانوا يتوارثون بعد الموت بهذه المؤاخاة إلى حين وقعة بدر، فلما نزل قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦] نُسخ التوارث وبقيت المؤاساة.

ضرب الأنصار أروع الأمثلة في الإيثار، ومن شواهد هذا ما كان بين عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من المهاجرين وسعد بن الربيع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الأنصار، وقد آخى بينهما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ عرض سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يناصف عبدالرحمن بن عوف أهله وماله، فقال: "يا عبدالرحمن، قد علمت الأنصار أنني من أكثرها مالاً، فأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها". فقال عبدالرحمن بن عوف: "بارك الله لك في أهلك ومالك، دلي على السوق"، والخبر في البخاري.

وقد نوه الله تعالى بإيثارهم في القرآن فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. وقد قال فيهم أبوبكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: "يا معشر الأنصار، جزاكم الله خيراً فوالله ما مثّلنا ومثّلكم إلا ما قال طفيل الغنوي لبني جعفر:

جزى الله عنا جعفرًا حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت
هم خلطونا بالنفوس وألجؤوا إلى حُجرات أدفأت وأظلت
أبوا أن يملونا، ولو أن أمنا تُلاقى الذي لاقوه منا ملّت

ثُمَّ بَنَى بِابْنَةِ خَيْرِ صَحْبِهِ ٤٧ وَشُرِعَ الْأَذَانُ فَاقْتُدِيَ بِهِ

قال: (ثم بنى بابنة خير صحبه): وكان ذلك في شهر شوال، في صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: "تزوجني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شوال، وبنى بي في شوال". وكان عمرها حين بنى بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسع سنين، في الصحيحين عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: "تزوجني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا بنت ست سنين، وبنى بي وأنا بنت تسع سنين".

قال: (وشرع الأذان فاقْتُدِيَ به): شرع الأذان للصلاة وكان الناس قبل ذلك يتحينون وقت الصلاة، فإذا شعروا أن الوقت قرب أتوا إلى المسجد، ثم رأى عبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رؤيا فيها الأذان المعروف الآن، فعرضها على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنهَا لِرُؤْيَا حَقٍّ»، وكان ذلك في السنة الأولى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وغزوة الأبواء بعد في صفر): هذه أول غزوة غزاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال في نظم الغزوات:

أول غزوة غزاها المصطفى ودان، فالأبواء، أو ترادفا

ترادفا: أي أنها غزوة واحدة، وودان والأبواء: موضعان متقاربان.

خرجوا في هذه الغزوة يعترضون عيرا لقريش عليها أبو جهل في ثلاث مئة راكب، خرجوا ليصيبوا من قريش ما أصابت من أموالهم، ليستردوا الأموال التي أخذوها، لكنهم لم يدركوهم، وتمت موقعة بني ضمرة مع سيدهم مُحْشِي بن عمرو الضمري.

وقد جعلها الناظم هنا من حوادث السنة الأولى، قال: (وغزوة الأبواء بعد في صفر

هذا وفي الثانية الغزو اشتهر)، إذا الأبواء من حوادث السنة الأولى عنده، وعدها جماعة من حوادث السنة الثانية. والسبب في هذا الخلاف أن أهل السيرة لهم طريقتان في عد السنين:

الطريقة الأولى: من يعدها من ربيع الأول الذي هاجر فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ربيع الأول، وهذا الذي جرى عليه الناظم هنا فجعلها في حوادث السنة الأولى؛ لأنها كانت في صفر.

والطريقة الثانية: من يعد السنة من المحرم، وهذا الذي عليه الأكثر. إذا عدت السنة من المحرم، وهذه الغزوة كانت في صفر؛ ستكون من حوادث السنة الثانية.

[حوادث السنة الثانية]

- وَعَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ بَعْدُ فِي صَفَرٍ ٤٨ هَذَا وَفِي الثَّانِيَةِ الْغَزْوُ اشْتَهَرَ
إِلَى بُوَاطٍ، ثُمَّ بَدْرٍ، وَوَجَبُ ٤٩ تَحَوُّلُ الْقِبْلَةِ فِي نِصْفِ رَجَبٍ
مِنْ بَعْدِ ذِي الْعُشَيْرِ يَا إِخْوَانِي ٥٠ وَفَرَضُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي شَعْبَانَ
وَالْغَزْوَةُ الْكُبْرَى الَّتِي بِبَدْرٍ ٥١ فِي الصَّوْمِ فِي سَابِعِ عَشْرِ الشَّهْرِ
وَوَجَبَتْ فِيهِ زَكَاةُ الْفِطْرِ ٥٢ مِنْ بَعْدِ بَدْرٍ بِلَيَالٍ عَشْرٍ
وَفِي زَكَاةِ الْمَالِ خُلْفٌ فَادِرٍ ٥٣ وَمَاتَتْ ابْنَةُ النَّبِيِّ الْبَرِّ
رُقَيْيَةُ قَبْلَ رُجُوعِ السَّفْرِ ٥٤ زَوْجَةُ عُثْمَانَ، وَعُرْسُ الطُّهْرِ
فَاطِمَةُ عَلَى عَلِيِّ الْقَدْرِ ٥٥ وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ الْأَسْرِ
وَقَيْنَقَاعُ غَزْوِهِمْ فِي الْإِثْرِ ٥٦ وَبَعْدُ ضَحَى يَوْمِ عِيدِ النَّحْرِ
وَعَزْوَةُ السَّوِيقِ، ثُمَّ قَرْقَرَةَ ٥٧ ...

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (هَذَا وَفِي الثَّانِيَةِ الْغَزْوُ اشْتَهَرَ إِلَى بُوَاطٍ): غزا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بواطٍ يعترض قافلة من قوافل التجارة لقريش فيها أمية بن خلف، حتى بلغ بواطاً ثم رجع إلى المدينة ولم يلقى كيذاً، قال في (نظم الغزوات):

ثُمَّ بُوَاطٌ خَرَجُوا لَعِيرٍ أُمِيَّةٌ بَنِ خَلْفِ السُّفْسِيرِ

السُّفْسِيرُ هو التاجر.

قال: (ثُمَّ بَدْرٍ): أغار كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفِهْرِيُّ عَلَى سَرَحِ الْمَدِينَةِ - الْإِبِلِ وَالْمَوَاشِيِّ الَّتِي تَسْرَحُ لِلرَّعِيِّ بِالْغَدَاةِ تَسْمَى السَّرَحَ -، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلْبِهِ حَتَّى بَلَغَ

واديًا يقال له (سَفَوَان) في ناحية بدر، وأفلت كرز بن جابر فلم يدركه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجع إلى المدينة.

واللطيف أن كُرْز بن جابر الذي أغار على سرح المدينة، هو الذي استنقذ لقاح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العُرَيْيْن لما استولوا عليها، وكان ذلك بعد إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال في (نظم الغزوات):

فبدر الأولى بإثر ناهبِ سَرَحِ المدينة مُغِذُّ هاربِ
كُرْز بن جابر، وبعدُ استنقذا لقاحه ممن عليه استحوذا

يعني من العريين.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ووجب تحوُّلُ القبلة في نصف رجب): تحوُّلُ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة كان في السنة الثانية للهجرة، قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]. لكن اختلف في أي شهر كان تحول القبلة: قيل: في شعبان، وقيل: في جمادى الآخرة، والذي جزم به الجمهور أنه كان في نصف رجب.

مِنْ بَعْدِ ذِي الْعُشَيْرِ يَا إِخْوَانِي ٥٠ وَفَرَضُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي شَعْبَانَ

(من بعد ذي العُشَيْرِ يا إخواني): يعني أن غزوة بدر الأولى، وأن تحول القبلة كلاهما كان بعد غزوة ذي العُشَيْرِ.

خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدرك عير أبي سفيان في ذهابها للشام، ففاته ولم يدركها. وهي التي خرج إليها لما رجعت من الشام، فكانت وقعة بدر بسببها.

إذاً الترتيب في هذه الغزوات: الأبواء ثم بواط ثم ذو العشير ثم بدر الأولى، بهذا الترتيب لأنه قال: (من بعد ذي العشير)، إذاً ذو العشير كانت قبل بدر الأولى.

قال: (وفرض شهر الصوم في شعبان): أكثر الشرائع كانت في هذه السنة الثانية: تحول القبلة وفرض صيام رمضان وزكاة الفطر والأضحية كما سيأتي، هذه كلها كانت في السنة الثانية. فأول رمضان صامه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في السنة الثانية، وقد صام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسع رمضانات، وكان فرض الصيام في شعبان.

وَالْغَزْوَةُ الْكُبْرَى الَّتِي يَبْدُرُ ٥١ فِي الصَّوْمِ فِي سَابِعِ عَشْرِ الشَّهْرِ

سبق في غزوة العشيرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج يعترض عيراً لقريش عليها أبو سفيان في ذهابها للشام لكنه لم يدركها، وهذه العير لما رجعت من الشام خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لملاقاتها، فبلغ ذلك أبا سفيان فاستصرخ قريشاً في مكة، واستأجر رجلاً يقال له ضمضم الغفاري لينذر قريشاً، فتجهزوا وخرجوا لملاقاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتحول أبو سفيان بالعير عن الطريق فنجت العير، والتقى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع المشركين في بدر، وحصل القتال والتحم الصفان، ومنَّ الله سبحانه وتعالى على المؤمنين بالنصر.

وخلاصة ما حصل ما قاله أبو سفيان بن الحارث -وهو ابن عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان في صف المشركين وقد أسلم بعد ذلك-، سأله أبو لهب قال: يا ابن أخي، أخبرني: كيف كان أمر الناس؟ فقال أبو سفيان بن الحارث: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا؛ يقودوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا، وإيم الله مع ذلك ما لمت الناس؛ لقينا رجالاً بيضاً على خيل بُلِقَ بين السماء والأرض، والله ما تُليق شيئاً - أي: ما تبقي شيئاً - ولا يقوم لها شيء. وكان أول قادم بمصاب قريش هو الحيسمان بن عبد الله الخزاعي، قالوا له: ما وراءك؟ قال: قُتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأميرة بن خلف وزمعة بن الأسود ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختری بن هشام، فجعل يعدد أشراف قريش، قال صفوان بن أمية: والله إن يعقل هذا، فسلوه عني. فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: هو ذاك جالس في الحجر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة القتال عَيَّنَ مصارع القوم، فكان يقول: «هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان»، فما أخطأ أحد منهم الموضع الذي عينه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وغنم المسلمون في هذه المعركة غنائم عظيمة، وكان ذلك اليوم يوم الفرقان كما سماه الله تعالى بذلك في القرآن؛ لأنه فَرَّقَ بين الحق والباطل، وهو أيضاً البطشة الكبرى قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ البطشة الكبرى هي غزوة بدر ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان]؛ أي منتقمون منهم لكفرهم بالله وتكذيبهم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (في الصوم في سابع عشر الشهر): يعني كان في رمضان في اليوم السابع عشر منه.

وَوَجَبَتْ فِيهِ زَكَاةُ الْفِطْرِ ٥٢ مِنْ بَعْدِ بَدْرِ بِلَيَالٍ عَشْرِ

(ووجبت فيه) في رمضان (زكاة الفطر) زكاة عيد الفطر صاعاً من طعام، (من بعد بدر بليال عشر): كانت وقعة بدر في اليوم السابع عشر فبعدها بعشر ليال فرضت زكاة الفطر.

وَفِي زَكَاةِ الْمَالِ خُلْفٌ فَادِرٌ ٥٣ وَمَاتَتْ ابْنَةُ النَّبِيِّ الْبَرِّ

رُقِيَّةٌ قَبْلَ رُجُوعِ السَّفَرِ ٥٤ زَوْجَةُ عُثْمَانَ، وَعُزْرُسُ الطُّهْرِ

فَاطِمَةُ عَلَى عَلِيِّ الْقَدْرِ ٥٥ وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ الْأَسْرِ

(وفي زكاة المال خلف فادر): اختلف العلماء في زكاة المال متى فرضت؛ قيل: فرضت في هذه السنة الثانية، لكن القول بأنها فرضت في المدينة فيه إشكال وهو أنه ورد في آيات مكية الأمر بالزكاة؛ مثل قوله تعالى في سورة المؤمنون وهي مكية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ وفي سورة الذاريات: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾، وفي سورة المعارج: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ، وفي سورة الأنعام: ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، وفي سورة فصلت: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ

الزَّكْوَةُ ❁. وقد قرر ابن كثير في تفسير فصلت أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مأمورًا بالزكاة في مكة للآيات المكية، لكن بيان أمر النُصْب والمقادير كان بالمدينة، يعني الزكاة فرضت بمكة لكن تقدير الأنصبة والأموال الزكوية وأهل الزكاة كان بالمدينة.

قال: (وماتت ابنة النبي البر رقية): رقية: بدل من قوله: (ابنة النبي البر)، وقد صرفها للضرورة، هي ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث لكنه صرفها للضرورة.

(رقية قبل رجوع السَّفَر): السَّفَر (بسكون الفاء): القوم المسافرون. قبل رجوع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة من غزوة بدر كانت وفاتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين يديه بشيرين يبشران أهل المدينة بالفتح والنصر وهما عبدالله بن رواحة إلى أعالي المدينة وزيد بن حارثة إلى السافلة، قال أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فأتانا الخبر -أي خبر انتصار المسلمين في بدر- حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (زوجة عثمان): عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعطي من أجر ومغنم من شهد بدرًا؛ لأنه تخلف عنها لعذر، فقد كانت رقية مريضة فاحتبس عندها يمرضها بأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (وعرس الطهر فاطمة) وحصل عرس فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الطاهرة العفيفة (على علي القدر): علي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه. ويشهد لكون زواج علي بفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان بعد غزوة بدر أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في الصحيحين في قصة زواجه بفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: "أصبت شارقًا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مغنم يوم بدر، وأعطاني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شارقًا أخرى"، وذكر إرادته الابتناء بفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال: (وأسلم العباس بعد الأسر): العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان من أسرى بدر وأسلم بعد أن أسر، وقيل: إنه كان قد أسلم قبل ذلك، وجاء بدرا مكرهاً وكان يخفي إسلامه، روي هذا في المسند، روي في المسند أنه قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إني

كنت مسلماً قبل ذلك، وإنما استكروهوني". فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الله أعلم بشأنك، فافد نفسك»، ولكنه لم يثبت. والناظم جزم بأنه أسلم بعد الأسر.

وَقَيْنَقَاعُ غَزْوُهُمْ فِي الْإِثْرِ ٥٦ وَبَعْدُ ضَحَى يَوْمَ عِيدِ النَّحْرِ

كان بالمدينة ثلاث قبائل من اليهود، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد صالحهم، وكلهم نقضوا العهد. أولهم نقضاً للعهد بنو قينقاع، نقضوا العهد بعد غزوة بدر، هذا قوله (غزوهم في الإثر)، فحاصروهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وألقى الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يقتل مقاتلتهم، لكن شفع فيهم المنافق عبدالله بن أبي ابن سلول، فأجلاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المدينة.

قال: (وبعد ضحى يوم عيد النحر): كان بدء شعيرة التضحية في هذه السنة الثانية فضحى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عيد الأضحى. والمشهور في كتب السير أن أول عيد شرع هو عيد الفطر في هذه السنة الثانية، ثبت في الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر».

وَعَزْوَةُ السَّوِيقِ، ثُمَّ قَرَقَرَهُ ٥٧ وَالْغَزْوُ فِي الثَّلَاثَةِ الْمُشْتَهَرَةِ

(وغزوة السويق): لما هُزمت قريش ببدر نذر أبو سفيان ألا يغسل رأسه بالماء حتى ينتقم لقتلاه، فتجهز مع مائتي فارس وجاءوا إلى المدينة، ونزل أبو سفيان عند سلام ابن مشكم (مشكم بكسر الميم) وبطن له من خبر الناس، فلما أصبح حرق في أصوار من نخل في المدينة -أصوار جمع صؤر وهو جماعة النخل- وقطعها إفساداً وتخريباً وقتل رجلين رجلاً من الأنصار وحليفاً له، ثم فر هارباً كأنه رأى أنه قد وفى بنذره. فنذر بهم الناس -علموا بهم-، فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جماعة من أصحابه في طلبه، وكان أبو سفيان ومن معه وهم في الطريق فارين يلقون أزودتهم التي فيها السويق -والسويق دقيق الشعير المقلو، ويكون من القمح، لكن الأكثر جعله من الشعير- فكانوا يلقون السويق، فتبعهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه حتى بلغوا قرقرة الكدر فلم يدركوهم، وكانوا يلقون أجربة السويق

ليتخففوا ويتمكنوا من الفرار، وقد كان ذلك تمكنوا من الفرار؛ أبو سفيان والمشركون، فأخذ الصحابة أجربة السويق التي كانوا يلقونها.

قال: (ثم قرقرة): قيل بالفرق بينهما وهو ظاهر صنيع الناضم، لكن اختار ابن كثير وغيره أن السويق وقرقة الكدر غزوة واحدة، وسبق أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كان يطلب أبا سفيان ومن معه بلغ قرقرة الكدر ثم رجع وقد فاته أبو سفيان، فيشبه أن تكون سميت قرقرة الكدر لذلك، وكان ذلك في ذي الحجة من السنة الثانية.

[حوادث السنة الثالثة]

- وَعَزْوَةُ السَّوِيقِ، ثُمَّ قَرَقَرَهُ ٥٧ وَالْغَزْوُ فِي **الثَّالِثَةِ** الْمُشْتَهَرَةِ
 فِي غَطَفَانَ، وَبَنِي سُلَيْمٍ ٥٨ وَأُمُّ كُلْثُومِ ابْنَةِ الْكَرِيمِ
 زَوْجَ عُثْمَانَ بِهَا وَخَصَّهُ ٥٩ ثُمَّ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ حَفْصَةَ
 وَزَيْنَبًا، ثُمَّ غَزَا إِلَى أَحَدٍ ٦٠ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ، وَحَمْرَاءِ الْأَسَدِ
 وَالْخَمْرُ حُرِّمَتْ يَقِينًا فَاسْمَعَنْ ٦١ هَذَا وَفِيهَا وَلِدَ السَّبْطُ الْحَسَنُ

ثم انتقل إلى ذكر حوادث السنة الثالثة، فقال:

(والغزو في الثالثة المشتهرة في غطفان): غزوة غطفان وتسمى أيضًا غزوة ذي أَمَرٍ، وهو ماء اجتمعت عليه غطفان يريدون الإغارة على أطراف المدينة، فخرج إليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تخويفًا وتشريدًا لهم، فلما بلغهم مخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم هربوا إلى رؤوس الجبال، ولم يلقَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيدًا.

قال: (وبني سليم): غزوة بني سليم كانت بعد بدر بسبع ليالٍ، فهي من حوادث السنة الثانية، غزا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه يريد بني سليم، فبلغ ماء من مياههم يقال له الكُدْر، فأقام عليه ثلاث ليالٍ ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ حربًا.

٥٨ وَأُمُّ كُلْثُومِ ابْنَةِ الْكَرِيمِ ...

زَوْجَ عُثْمَانَ بِهَا وَخَصَّهُ ٥٩ ...

سبق أن وفاة رقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت بعد غزوة بدر، وفي هذه السنة الثالثة زوجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته أم كلثوم، ولهذا لقب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذي النورين، ولم يحصل هذا الشرف لأحد غير عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يتزوج ابنتي نبي، وهذا من كرم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لذلك قال الناظم هنا: (وأم كلثوم ابنة الكريم زَوْجَ عثمان بها وخصه).

(ثم تزوج النبي حفصة): هي حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عن حفصة وعن أبيها، وكانت حفصة قد تأيمت من زوجها خنيس بن حذافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مات عنها بالمدينة فتزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان عمر بعد موت زوجها خنيس ذهب إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في البخاري، وعرضها عليه، فقال عثمان: سأنظر في أمري فلبث ليالي ثم لقي عمر فقال: قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبوبكر فلم يرجع إلي شيئا، قال عمر: وكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبث ليالي ثم خطبها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأنكحها إياه، فلقيني أبوبكر فقال: لعلك وجدت عليّ حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئا؟ قال عمر: قلت: نعم، قال أبوبكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أني كنت علمت أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو تركها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقبلتها.

قال: (وزينباً): أي تزوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد حفصة زينب، وهي زينب بنت خزيمة، يقال لها أم المساكين لشفقتها بهم، وسيأتي ذكر وفاتها في حوادث السنة الرابعة. **وَزَيْنَبًا، ثُمَّ غَزَا إِلَى أَحَدَ ٦٠ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ، وَحَمْرَاءِ الْأَسَدِ**

قال: (ثم غزا إلى أحد في شهر شوال): في شهر شوال من السنة الثالثة وقعت الوقعة العظيمة التي امتحن الله عَزَّوَجَلَّ بها عباده وهي غزوة أحد، وكان الظهور أول الأمر للمسلمين، ثم حصلت مخالفة بعض الرماة الذين جعلهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جبل عنين -وهو جبل الرماة المعروف الآن، جبل صغير بجانب جبل أحد-. وقعت المخالفة من بعضهم؛ أمرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يبرحوا مكانهم، فنزلوا فدارت الدائرة على المسلمين، واستشهد فيها من المسلمين نحو السبعين، وكانوا قتلوا في بدر سبعين من المشركين وأسروا سبعين، هذا قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ

أَنِّي هَذَا قُلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴿١٦٥﴾ [آل عمران: ١٦٥]. وكان ممن قتل حمزة بن عبدالمطلب عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيها جرح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وجهه، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان مما نزل من القرآن في يوم أحد ثمان وخمسون آية من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١] إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٩]. والله سبحانه وتعالى الحكمة البالغة؛ لو أنهم كانوا ينتصرون دائماً لدخل معهم المؤمنون وغيرهم ولم يتميز الصادق من غيره ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، وأراد الله أن يكرم من شاء من عباده بالشهادة كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. وقد تكلم ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في زاد المعاد - في كلامه عن غزوة أحد - تكلم عن الحكمة مما يجريه الله على أوليائه من البلاء في كلام جميل، وقد قال الشيخ سيلوم الشنقيطي - حفظه الله - في (احمرار الغزوات):

هذا وفي الذي أصاب المسلمين	تبدو لنا حِكم ربِّ العالمين
لو أنهم على الدوام انتصروا	دخل فيهم الذين كفروا
ولم يَبْذُرْ ذو الصدقِ من سِواه	لكن يساويه وما ساواه
وَتَمَّ سَادَةُ أَرَادَ بِهِمْ	إِكْرَامُهُمْ؛ إِذْ بِهِمْ يَحِبُّهُمْ
لِذَاكَ بَلَّغُهُمُ الشَّهَادَةَ	وَهِيَ قِصَارَى الْفَوْزِ وَالسَّعَادَةِ
وغيرُ ذا مما يضيق نظمي	عنه ولم يصلِ إليه علمي

ففيها حكم أشار ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في (زاد المعاد) إلى كثير منها، ويستفيد مما ذكره ابن القيم كل من أصابه بلاء.

قال: (وحمرء الأسد): بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد غزوة أحد أن أبا سفيان ومن معه يريدون أن يرجعوا فيستأصلوا المسلمين، فندب الصحابة إلى النهوض في طلب العدو على ما بهم من الجراح، فاستجابوا لله والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما سمع أبو سفيان بخروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه إليهم رجع بجيشه إلى مكة، ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ١٧٣ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾ [آل عمران].

وَالْخَمْرُ حُرِّمَتْ يَقِينًا فَاسْمَعْنَ ٦١ هَذَا وَفِيهَا وَلَدَ السَّبْطُ الْحَسَنُ

قال: (والخمر حرمت يقينا فاسمعن): تحريمها يقين نزل به القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة]، لكن متى كان تحريمها؟

قيل: في السنة الثالثة وهو الذي ذكره الناظم، وهو المشهور عند كثير من أهل العلم.

وقيل: إنها حرمت في السنة الرابعة ليالي غزوة بني النضير.

وقيل: حرمت في السنة الثامنة في الفتح.

والذي عليه كثير من أهل العلم ما ذكره الناظم من أنها حرمت في الثالثة.

(هذا وفيها ولد السبط الحسن): (وفيها) في السنة الثالثة (ولد السبط) السبط ولد

الولد، كانت ولادة الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سبط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وريحانته في رمضان عند الجمهور من هذه السنة الثالثة من الهجرة.

[حوادث السنة الرابعة]

- وَكَانَ فِي الرَّابِعَةِ الْغَزْوُ إِلَى ٦٢ بَنِي النَّضِيرِ فِي رَيْعٍ أَوَّلًا
 وَبَعْدُ مَوْتُ زَيْنَبَ الْمُقَدَّمَةِ ٦٣ وَبَعْدَهُ نِكَاحُ أُمِّ سَلَمَةَ
 وَبِنْتُ جَحْشٍ، ثُمَّ بَدْرُ الْمَوْعِدِ ٦٤ وَبَعْدَهَا الْأَحْزَابُ فَاسْمَعُ وَاعْدُدِ
 ثُمَّ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَفِيهِمَا ٦٥ خُلْفٌ، وَفِي ذَاتِ الرِّقَاعِ عُلْمًا
 كَيْفَ صَلَاةُ الْخَوْفِ، وَالْقَصْرُ نُمِي ٦٦ وَآيَةُ الْحِجَابِ، وَالتَّيْمُّ
 قِيلَ: وَرَجْمُهُ الْيَهُودِيَيْنِ ٦٧ وَمَوْلِدُ السَّبْطِ الرَّضَا الْحُسَيْنِ
 قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكَانَ فِي الرَّابِعَةِ الْغَزْوُ إِلَى ٦٢ بَنِي النَّضِيرِ فِي رَيْعٍ أَوَّلًا

كان في السنة الرابعة بعد غزوة أحد الغزو إلى بني النضير (في ربيعٍ أولًا) في شهر ربيع الأول.

والمشهور عند أهل السير في سبب غزوة بني النضير أن رجلاً من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتل رجلين لهما عهد من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يشعر به، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: «لقد قتلت قتيلين لأديننهما». فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه جماعة من أصحابه إلى يهود بني النضير ليعينوه في ديتهما لما بينهم وبينه من الحلف، فقالوا: نعم. فاجتمع اليهود والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالس عندهم، وتشاوروا وقالوا: من رجل يلقي على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الرchy فيقتله؟ فانبعث أشقاها عمرو بن جحاش، ونزل جبريل وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما هموا به، فرجع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة ثم تجهز لقتالهم؛ لأن فعلهم هذا نقض للعهد، خرج بنفسه لقتالهم وحاصرهم، فقذف الله سبحانه وتعالى في قلوبهم الرعب، وسألوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم

ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح، ففعل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ يعني للشام ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر].

وَبَعْدَ مَوْتِ زَيْنَبَ الْمُقَدَّمَةِ ٦٣ وَبَعْدَهُ نِكَاحُ أُمِّ سَلَمَةَ

(وبعد موت زينب المقدمة): هي زينب بنت خزيمة التي تقدم ذكرها قريبا، كان دخوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها بعد دخوله على حفصة بنت عمر، ثم لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة، لكن انظر كيف كان هذان الشهران من حياتها سببا لأن تكون مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة الخالدة.

(وبعده نكاح أم سلمة): هي أم سلمة بنت أبي أمية واسمها هند، وكانت هي وزوجها أبو سلمة ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة، وكان زوجها أبو سلمة قد أصيب بجراح في غزوة أحد، فعالجها حتى برئت، ثم انتقض جرحه بعد ذلك في السنة الرابعة. وأبو سلمة أخو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاع، فلما توفي قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها كما في صحيح مسلم: "سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنى في مصيبتى وأخلف لي خيرا منها؛ إلا أخلف الله له خيرا منها»، قالت: "فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: ولكي قلتها، فأخلف الله لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

وَبِنْتُ جَحْشٍ، ثُمَّ بَدْرُ الْمَوْعِدِ ٦٤ وَبَعْدَهَا الْأَحْزَابُ فَاسْمَعْ وَاعْدُدْ

قال: (وبنت جحش): أي تزوج أيضاً زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في هذه السنة الرابعة، وقيل: في الثالثة، وقيل: في الخامسة، هذه ثلاثة أقوال.
وقرر ابن القيم وابن كثير أن زواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بزينب بنت جحش كان في السنة الخامسة، ونزلت صبيحة دخوله بها آية الحجاب، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وقد كانت تبأى وتفخر على أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول: "زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات" كما في البخاري.

وكانت أول نسائه لحوقاً به، في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: "قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسْرَعُكُمْ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُمْ يَدًا»، قالت: فكأن يتناولن أَيْتِهِنَّ أطول يداً" يحملنه على المعنى الحقيقي، والمقصود طول اليد بالصدقة "قالت: فكانت أطولنا يداً زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق".

(ثم بدر الموعد): غزوة بدر الموعد، وسميت كذلك لأنه لما انصرف أبو سفيان ومن معه من غزوة أحد نادى: موعدكم بدر للعام القابل، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجل من أصحابه: «قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعد»، وقد خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك الموعد حتى قدم بدرا، وخرج كفار قريش فلما كانوا في الطريق قال لهم أبو سفيان: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب، ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا مجذب وإني راجع فارجعوا، فرجع المشركون.

وأما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبقي ثمانية ليال في ذلك الموضع.

والغزوات التي تسمى ببدر ثلاث غزوات:

بدر الأولى وتسمى الصغرى، وكانت في السنة الثانية.

وبدر الكبرى، وكانت كذلك في السنة الثانية، وهي يوم الفرقان.

وبدر الآخرة، وهي هذه بدر الموعد التي كانت في السنة الرابعة.

قال: **(وبعدها الأحزاب)**: سميت بهذا لاجتماع أحزاب متفرقة على حرب المسلمين؛ وهم قريش وخطفان ويهود، وتسمى أيضا غزوة الخندق؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بحفر خندق حول المدينة بإشارة سلمان الفارسي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "كنا إذا خفنا خندقنا"، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق، حتى إنه لما جاءت قريش المدينة ورأت الخندق، قالت: إنها مكيدة ما عرفتھا العرب.

وقد ذكر شيء من خبر غزوة خندق في صدر سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ١١﴾، وأظهر المنافقون ما كانوا يبتغون من النفاق ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ١٢﴾ الآيات [الأحزاب]، ونقض بنو قريظة العهد، فعظم الأمر على المسلمين.

وقد هزم الله الأحزاب وحده ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾، فرجعوا على أعقابهم. والذي صححه ابن القيم وابن كثير أنها كانت في السنة الخامسة.

ثُمَّ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَفِيهِمَا ٦٥ خُلْفٌ، وَفِي ذَاتِ الرِّقَاعِ عُلَمَاءُ

كَيْفَ صَلَاةِ الْخَوْفِ، وَالْقَصْرِ نُمِي ٦٦ وَآيَةُ الْحِجَابِ، وَالتَّيْمُمِ

قال: **(ثم بني قريظة)**: لأنهم نقضوا العهد كما سبق، فلما رد الله تعالى كفار قريش وخطفان ومن معهم بغيظهم فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني قريظة، قال الله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ٢٥ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم بنو قريظة ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِّنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ أي: من حصونهم ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ

الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدَيْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّهَا ﴿٢٧﴾ يعني خيبر ولكنكم ستطأونها وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله في حوادث السنة السابعة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب].

في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رجع يوم الخندق ووضع السلاح واغتسل؛ أتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار، فقال: "وضعت السلاح؟ فوالله ما وضعته"، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فأين؟» قال: "ها هنا" وأشار إلى بني قريظة. قالت: "فخرج إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". وفيهما عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: "قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنا لما رجع من الأحزاب: «لَا يَصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قَرِظَةَ»، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، ولم يُرد منا ذلك. فذكر للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يعنف واحداً منهم.

لكن هنا سؤال: مع من كان الصواب؟ حُكِمَ الله واحد لا يتعدد، فمع من كان الصواب؛ مع من صلى في الطريق، أو من أخر الصلاة حتى صلاها في بني قريظة وقد خرج وقتها؟ طبعاً الجميع مجتهد، والجميع مأجور بين الأجر والأجرين، فمع من كان الصواب؟ الجواب: وقت صلاة العصر وعدم تأخيرها نصٌّ محكم ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٣﴾﴾ [النساء] لا يحتمل غيره، لكن حديث «لَا يَصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قَرِظَةَ» يحتمل أن المعنى: الأمر بالمبادرة والحث على الإسراع، ويحتمل النهي عن صلاة العصر قبل بني قريظة، وإذا كان عندنا محكم ومتشابه فالذي نعمل به هو المحكم.

قرر هذا المعنى ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في (زاد المعاد) قال: إنهم فهموا أن مقصود النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المبادرة إلى امتثال أمره بالخروج، وقد فعلوا، أما وقت صلاة العصر ففيه النصوص الصريحة وأن «من فاتته صلاة العصر حبط عمله ووُتِرَ أهله وماله»، وقال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء]. وهو الذي رجحه ابن كثير أيضاً في (الفصول في سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وأما ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ فالذي يتخرج على ظاهره أنها لا تصلى إلا في بني قريظة، وهو الذي قاله ونص عليه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وعلم الله تعالى أننا لو كنا هناك ما صلينا العصر في ذلك إلا في بني قريظة ولو بعد أيام" رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال: (وفيهما خُلف): أي في غزوة الأحزاب وغزوة بني قريظة خلف، وسبق أن الذي صححه ابن القيم وابن كثير أن الأحزاب كانت في الخامسة، وغزوة بني قريظة كانت بعدها كانت بعدها متصلة بها؛ إذاً هي أيضاً في الخامسة.

قال: (وفي ذات الرقاع عُلِّمَ كيف صلاة الخوف): غزوة ذات الرقاع قيل: كانت في هذه السنة، لكن اختيار البخاري أنها كانت بعد غزوة خيبر، وأيده ابن القيم وابن كثير وابن حجر، ويؤيده ما ثبت من حضور أبي هريرة لهذه الغزوة، وهو إنما جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيام غزوة خيبر، وفتح خيبر كان في السنة السابعة كما في هذا النظم قال: (وكان فتح خيبر في السابعة)، فلا يمكن أن تكون غزوة ذات الرقاع في هذه السنة وقد حضرها أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في الصحيح. وأيضاً يؤيده حديث أبي موسى الأشعري أنها سميت غزوة ذات الرقاع لأنهم نقبت أقدامهم، كانوا يلفون الخرق على أقدامهم فسميت غزوة ذات الرقاع، وأبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما قدم مع جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الحبشة بعد فتح خيبر، فغزوة ذات الرقاع كانت بعد غزوة خيبر، وغزوة خيبر كانت في السابعة.

في غزوة ذات الرقاع قصد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبائل من غطفان ولم يقع قتال.

قال: (وفي ذات الرقاع عُلِّمَ كيف صلاة الخوف): يعني في غزوة ذات الرقاع علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الخوف، وسبق أن غزوة ذات الرقاع الصحيح أنها كانت في السابعة بعد خيبر، وقد صلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الخوف في غزوة الحديبية بعسفان،

فتكون أول صلاة خوف صلاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي التي كانت بعسفان في غزوة الحديبية في السنة السادسة، وهذا الذي رجحه ابن القيم وابن كثير.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والقصرُ نُمِّي)**: أي قصر الصلاة في السفر، قصر الرباعية بأن تصلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين والعشاء ركعتين ذكر أنه كان في هذه السنة. وتعيّن سنة دون غيرها في قصر الصلاة في السفر لم يثبت فيه شيء، لكن ذكر جماعة من أهل السيرة أنها كانت في السنة الرابعة.

قال: **(وآية الحجاب)**: لا خلاف أنه نزل الحجاب صبيحة دخوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بزينب بنت جحش، وفي وقت دخوله بها خلاف: قيل: في الثالثة، وقيل: في الرابعة، وقيل: في الخامسة. وتقدم أن ابن القيم وابن كثير قررا أن زواجه بها كان في السنة الخامسة.

ما المقصود بآية الحجاب؟ المقصود قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِ بْنِ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَنْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال: **(والتيمة)**: أي في هذه السنة شرع التيمم، وكان سبب ذلك أن ضاع عقد عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأقام الناس في طلبه وليس معهم ماء وليسوا على ماء، فنزلت آية التيمم.

قِيلَ: وَرَجُمَهُ الْيَهُودِيُّنَ ٦٧ وَمَوْلِدُ السَّبْطِ الرِّضَا الْحُسَيْنِ

(قيل: ورجمه اليهوديين): قيل: إن رجم اليهوديين كان في السنة الرابعة، وقصة رجم اليهوديين في الصحيحين دون تعيين التاريخ، وقال كثير من أهل السير: إنها كانت في الرابعة. في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ يهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى جاء يهود، فقال: «ما

تجدون في التوراة على من زني؟» قالوا: نُسَوِّدُ وجوههما ونحملهما ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما. قال: «فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين»، فجاءوا بها فقرؤوها حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها، فقال له عبدالله بن سلام وهو مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مُرُّهُ فليرفع يده. فرفعها فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرجما. قال عبدالله بن عمر: كنت فيمن رجمهما.

(ومولد السبط الرضا الحسين): الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن أبيه كانت ولادته في هذه السنة الرابعة.

[حوادث السنة الخامسة]

وَكَانَ فِي الْخَامِسَةِ اسْمَعُ وَثِقَ ٦٨ الْإِفْكُ فِي غَزْوِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ
 وَدُومَةُ الْجَنْدَلِ قَبْلُ، وَحَصَلَ ٦٩ عَقْدُ ابْنَةِ الْحَارِثِ بَعْدُ وَاتَّصَلَ
 وَعَقْدُ رَيْحَانَةَ فِي ذِي الْخَامِسَةِ ٧٠ ...

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكَانَ فِي الْخَامِسَةِ اسْمَعُ وَثِقَ ٦٨ الْإِفْكُ فِي غَزْوِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

كان في السنة الخامسة الإفك والكذب الفاحش الذي خاض فيه المنافقون في عرض الصديقة الطاهرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعمن ترضى عنها، فبرأها الله تعالى بآيات تتلى في كتابه في سورة النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أُمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور]. وقد أجمع العلماء على كفر من رماها بما برأها الله منه ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور]، وكان ذلك في قفولهم من غزوة بني المصطلق.

بنو المصطلق بطن من خزاعة. تسمى هذه الغزوة غزوة بني مصطلق، وتسمى غزوة المريسيع نسبة إلى ماء لهم هناك يقال له: (المريسيع)، وقد لقيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم.

وَ دُومَةُ الْجَنْدَلِ قَبْلُ، وَحَصَلَ ٦٩ عَقْدُ ابْنَةِ الْحَارِثِ بَعْدُ وَاتَّصَلَ

(ودومة الجندل): بضم الدال وفتحها، يقال: دومة الجندل ودومة الجندل، كان يعرض في دومة الجندل الظلمة للذين يقدمون من الشام بتجارهم إلى المدينة، فقصد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم في سوقهم، فلما تسامعوا بقدومه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفرقوا، فلما ورد

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى موضعهم لم يلق أحداً، ورجع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن أقام أياماً ولم يقع قتال.

(وحصل عقد ابنة الحارث بعدُ واتصل): حصل بعد غزوة بني المصطلق أن عقد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جويرية بنت الحارث، كانت من السبي وقد وقعت في سهم ثابت ابن قيس بن شماس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكاتبتها على نفسها؛ بمعنى أنها تدفع مالاً منجماً وتعتق، ففضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابتها وتزوجها، فأعتق بتزوجه إياها مئة أهل بيت من بني المصطلق إكراماً لصهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "ما رأيت امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها!" أي من جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَعَقْدُ رِيحَانَةَ فِي ذِي الْخَامِسَةِ ٧٠ ثُمَّ بُنُولِحْيَانَ بَدْءَ السَّادِسَةِ

(وعقد ريحانة): هي ريحانة بنت زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اختار الناظم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقد عليها في الخامسة، وبنى بها في السادسة كما سيأتي، لكن رجح ابن القيم وابن كثير وجماعة من أهل السير أنها كانت أمة، كان يطؤها بملك اليمين ولم تكن من أزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[حوادث السنة السادسة]

وَعَقْدُ رَيْحَانَةٍ فِي ذِي الْخَامِسَةِ ٧٠ ثُمَّ بُنِيَ لِحْيَانٌ بَدَأَ السَّادِسَةَ
 وَبَعْدَهُ اسْتِسْقَاؤُهُ، وَذُو قَرْدٍ ٧١ وَصُدَّ عَنْ عُمْرَتِهِ لَمَّا قَصَدَ
 وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدُ، وَبَنَى ٧٢ فِيهَا بَرِيحَانَةٌ هَذَا بَيْنَنَا
 وَفَرَضَ الْحَجَّ بِخُلْفٍ فَاسْمَعَهُ ٧٣ ...

قال رَحِمَهُ اللهُ: (ثم بنو لحيان) بكسر اللام وتفتح أيضًا (بدء السادسة): كانت غزوة بني لحيان ليأخذ بثأر بعث الرجيع. بعث الرجيع عشرة من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثهم عيناً، كان عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الألقح، سمع بهم بنو لحيان -وهم من هذيل- وكانوا قريباً من مئة رجل، فقتلوا من قتلوا من هؤلاء الصحابة وأسروا من أسروا، وباعوا خبيباً وزيد بن الدثنة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لقريش. فغزوة بني لحيان كانت من أجل أن يأخذ بثأر بعث الرجيع.

لما ورد عليهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحصنوا في رؤوس الجبال، فتركهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجع ولم يلق كيذا.

وَبَعْدَهُ اسْتِسْقَاؤُهُ، وَذُو قَرْدٍ ٧١ وَصُدَّ عَنْ عُمْرَتِهِ لَمَّا قَصَدَ

(وبعده) بعد ذلك (استسقاؤه)، وليس في خبر استسقائه تعيين السنة ولا تعيين الغزوة، وذكر الناظم تبعاً لجماعة من نقلت السيرة أنها كانت في هذه السنة السادسة، وذكروا أنها كانت في رمضان.

استسقى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سبقه المشركون إلى الماء فأصاب المسلمين العطش، فشكوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال بعض المنافقين: لو كان نبياً لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه، فبلغ ذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «أوقد قالوها؟ عسى

ربكم أن يسقيكم» ثم بسط يديه ودعا، فما رد يديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من دعائه حتى أظلم السحاب وأمطروا، فأفعم السيل الوادي فشرب الناس وارتووا.

(وذو قَرْد): غزوة ذي قرد -تسمى أيضًا غزوة الغابة- كانت قبل خيبر بثلاث ليال، أي بعد الحديبية، جزم بذلك البخاري ورجحه ابن القيم والحافظ ابن حجر، وأما أصحاب المغازي فيذكرون أنها قبل الحديبية كما ذكر الناظم هنا، ابن إسحاق وابن سعد والواقدي يذكرونها في هذا الموضع.

والأول أصح؛ كونها كانت قبل خيبر بثلاث ليال أصح؛ لما في صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: فرجعنا من الغزوة -من هذه الغزوة غزوة ذي قرد- إلى المدينة، قال: فوالله ما لبثنا بالمدينة إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر. معنى هذا أنها كانت قبل خيبر بثلاث ليال.

وكان من خبرها أن عيينة بن حصن الفزاري أغار مع جماعة من قومه على لقاح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واللحاح جمع لِقْحَةٍ (بكسر اللام وتُفْتَح) وهي الناقة ذات اللبن قريبة العهد بالولادة، أغار على لقاح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي بالغابة فاستاقها وقتل راعيها - وهو رجل من غفار - وأخذوا امرأته، فكان أول من نذر بهم -أي: علم بهم- سلمة ابن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فانبعث في طلبهم ماشيًا -وكان لا يُسبق، كان عداء يسبق الخيل-، فجعل يرميهم بالنبل ويقول:

خذها أنا ابنُ الأكوع

واليومَ يومُ الرُّضْع

حتى استرجع عامّة ما كان بأيديهم.

(وَصُدَّ عن عمرته لما قصد): أي صُدَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عمرته لما قصد مكة معتمرا، خرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ألف ونيف من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وصدتهم قريش عن

دخول مكة، وحصل الصلح بين النبي ﷺ وبين كفار قريش على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض، وعلى أن من أتى رسول الله ﷺ مسلماً بغير إذن وليه رده، ومن أتى قريشا لم يردوه، وأن من أحب أن يدخل في عقد النبي ﷺ وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتوثبت خزاعة ودخلت في عقد النبي ﷺ وعهده، وتوثبت بنو بكر ودخلت في عقد قريش وعهدهم، وعلى أن يرجع عامه هذا فإذا كان العام القابل دخل بسلاح الراكب؛ السيوف في القرب.

وكان الصلح فتحاً مبيناً، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [الفتح]. من أول الإسلام إلى صلح الحديبية منذ أن بعث النبي ﷺ إلى صلح الحديبية تسع عشرة سنة؛ ثلاث عشرة سنة في مكة، ثم هذا في السنة السادسة؛ عدد من كان مع النبي ﷺ في هذا الصلح كانوا ألفاً وثلاث مئة أو ألفاً وأربع مئة أو ألفاً وخمس مئة - روايات وكلها في الصحيحين -، لكن لما نقضت قريش العهد وخرج النبي ﷺ لفتح مكة بعد سنة ونصف في فتح مكة كانوا عشرة آلاف. وهذا يدل على أهمية الأمن في الدعوة إلى الله وأن الإخلال بأمن البلد يرجع بالدعوة إلى الوراء سنوات، فلما أمن الناس دخلوا في الإسلام، لما حصل الصلح بين النبي ﷺ وقريش أمن الناس فدخلوا في الإسلام.

وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدُ، وَبَنَى ٧٢ فِيهَا بَرِيحَانَةٌ هَذَا يَبْنَى
وَفَرَضَ الْحَجَّ بِخُلْفٍ فَاسْمَعَهُ ٧٣ ...

قال: (وبيعه الرضوان بعد): أي بعد صد قريش للنبي ﷺ عن الكعبة حصلت بيعه الرضوان. وكان النبي ﷺ بعث عثمان رضي الله عنه إلى مكة للتفاوض مع المشركين في أمر دعوته ﷺ، ونقل إلى المسلمين أن عثمان رضي الله عنه قُتل، وسبحان الله ما نزل وحي بتكذيب هذه الإشاعة حتى تتم هذه البيعة التي رضي الله عن

أهلها وزكاهم، فبايع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة على القتال، ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح]، فلما فرغوا من البيعة خرج عليهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وبنى فيها بريحانة هذا بُيِّنَا): سبق أنها كانت أمة من إماءه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم تكن

زوجة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفرض الحج بِخُلْفٍ فاسمعه): يعني من حوادث السنة السادسة فُرض

الحج، قال (بِخُلْفٍ): يعني في وقت فرض الحج خلاف: قيل: في السنة السادسة، وقيل: بل فرض بعد ذلك في التاسعة، وقيل: في العاشرة.

[حوادث السنة السابعة]

- وَفَرَضَ الْحَجَّ بِخُلْفٍ فَاسْمَعَهُ ٧٣ وَكَانَ فَتَحُ خَيْبَرَ فِي السَّابِعَةِ
 وَحَظَرُ لَحْمِ الْحُمَرِ الْأَهْلِيَّةِ ٧٤ فِيهَا، وَمُتَعَةُ النَّسَاءِ الرَّدِّيَّةِ
 وَسُمِّ فِي شَاةٍ بِهَا هَدِيَّةُ ٧٥ ثُمَّ اصْطَفَى صَفِيَّةً صَفِيَّةً
 ثُمَّ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ عَقْدَ ٧٦ وَمَهْرَهَا عَنْهُ النَّجَاشِيُّ نَقْدَ
 ثُمَّ أَتَتْ وَمَنْ بَقِيَ مُهَاجِرًا ٧٧ وَعَقْدُ مَيْمُونَةَ كَانَ الْآخِرًا
 وَقَبْلَ إِسْلَامِ أَبِي هُرَيْرَةَ ٧٨ وَبَعْدُ عُمَرَةَ الْقَضَا الشَّهِيرَةَ
 وَالرُّسُلَ فِي الْمُحَرَّمِ الْمُحَرَّمِ ٧٩ أَرْسَلَهُمْ إِلَى الْمُلُوكِ فَاعْلَمَ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكان فتح خيبر في السابعة): لما رجع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة بعد صلح الحديبية مكث بالمدينة عشرين ليلة أو قريبًا من ذلك ثم خرج غازيًا إلى خيبر، وكانت خيبر مجتمعا لبقايا من أجلوا من المدينة، وكان فيها كبراء بني النضير، وقد نصره الله عليهم، وفي سورة الأحزاب بشرى بفتح خيبر في قوله تعالى: ﴿وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا﴾ وأيضًا في سورة الفتح قال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ هي مغنم خيبر.

وَحَظَرُ لَحْمِ الْحُمَرِ الْأَهْلِيَّةِ ٧٤ فِيهَا، وَمُتَعَةُ النَّسَاءِ الرَّدِّيَّةِ

(فيها) في هذه السنة السابعة كان (حظر لحم الحمر الأهلية)، وأيضا كان حظر نكاح المتعة، وكان ذلك يوم خيبر كما في الصحيحين من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ نِكَاحِ الْمُتَعَةِ يَوْمَ خَيْبَرَ وَعَنْ لُحُومِ الْحُمَيْرِ الْأَهْلِيَّةِ.

قال: (ومتعة النسا الردية) هي بالجر معطوفة على المضاف إليه (لحم)، وبالرفع (ومتعة النسا الردية): أي حُظِرَت كذلك، يكون مبتدأ حذف خبره.

ثُمَّ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ عَقَدَ ٧٦ وَمَهْرَهَا عَنْهُ النَّجَاشِيُّ نَقَدَ

أم حبيبة هي رملة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد عقد عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونقد مهرها النجاشي -أي: دفع مهرها النجاشي-؛ لأنها كانت في بلاد الحبشة، وكان مهرها أربع مئة دينار من النجاشي.

وَسُمَّ فِي شَاةٍ بِهَا هَدِيَّتُهُ ٧٥ ثُمَّ اصْطَفَى صَفِيَّةً صَفِيَّةً

هنا خلاف بين النسخ في تقديم البيت وتأخير، هذا البيت والذي قبله.
قال: (وَسُمَّ فِي شَاةٍ بِهَا هَدِيَّتُهُ): في هذه السنة أهدت امرأة من اليهود للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاة وضعت فيها السم، والحديث في الصحيحين. وفي البخاري معلقاً أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة، ما زلت أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبْهَرِي من ذلك السم».

قال الناظم:

والمصطفى من ساد كل السادة ضَمَّ إِلَى النبوة الشهادة

(ثم اصطفى) النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (صفيةً) صفية بنت حيي بن أخطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (صفيةً): صفية لنفسه من سبايا خيبر، فأعتقها وجعل عتقها صداقها.

ثُمَّ أَتَتْ وَمَنْ بَقِيَ مُهَاجِرًا ٧٧ وَعَقْدُ مَيْمُونَةَ كَانَ الْآخِرًا

(ثم أتت) أي: أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رملة بنت أبي سفيان (ومن بقي مهاجراً) في الحبشة وهم جعفر بن أبي طالب وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأيضاً كان في صحبتهم أبو موسى

الأشعري في جماعة من الأشعرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجعفر: «ما أدري أنا بقدم جعفر أسّر أو بفتح خير».

(وعقْدُ ميمونة) هي ميمونة بنت الحارث الهلالية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا آخر زوجاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كان الآخر)، تزوجها بمكة في عمرة القضاء، وكان حلالاً غير محرم، لما حلَّ من عمرته تزوجها كما في صحيح مسلم عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوجها وهو حلال.

لكن يُشكّل على هذا ما في الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي تزوجها وهو محرم، لكن الذي عليه الجمهور أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوجها وهو حلال، ولهم عن حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أجوبة، أصحها أنه من أغلاط الثقات، وقد ورد عن أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوجها وهو حلال، قال: وكنت الرسول بينهما. فميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هي صاحبة القصة، وأبو رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان الرسول بينهما؛ فيُقدّم قولهما، خصوصاً وأن رواية ابن عباس كانت قبل البلوغ.

وَقَبْلُ إِسْلَامِ أَبِي هُرَيْرَةَ ٧٨ وَبَعْدُ عُمَرَةَ الْقُضَا الشَّهِيرَةِ

قال: (وقبل إسلام أبي هريرة): قبل خير كان إسلام أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خير ولم يدرك الغزوة.

(وبعد) بعد خير (عمرة القضاء الشهيرة) بعد غزوة خير رجع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، ثم خرج في شهر ذي القعدة إلى مكة معتمراً. سميت عمرة القضاء لأنه كان قاضياً قريشاً عليها في صلح الحديبية.

وَالرُّسُلُ فِي الْمُحَرَّمِ الْمُحَرَّمِ ٧٩ أَرْسَلَهُمْ إِلَى الْمُلُوكِ فَاعْلَمَ

في شهر الله المحرم كان إرسال الرسل إلى قيصر وكسرى والمقوقس والنجاشي وغيرهم، كتب إليهم يدعوهم إلى الإسلام.

قال في (قرة الأبصار في سيرة المشفع المختار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):

بيان رُسل المصطفى لمن ملكُ صلى عليه الله ما دار الفلكُ
إلى النجاشيِّ النبيُّ أرسلا عَمْرًا فَبَجَّلَ الكتاب وتلا
عمرًا: هو عمرو بن أمية الضمري.
ومات مسلمًا وصلى المصطفى عليه مع أصحابه أولي الصفا
ودحيةً إلى هرقلٍ أرسلا فشَحَّ، ثم ابن حذافة إلى
ابن حذافة: هو عبدالله بن حذافة السهمي.

كسرى فمزَّقَ الكتاب مُزَّقًا وحاطبٌ إلى المقوقس ارتقى
المقوقس: المقوقس صاحب الإسكندرية.

فقارب الإسلام حتى أهدى جاريتين دُلْدُلًا وعبدا
ثم إلى من ملكا عُمَانَا عَمْرًا فَأَسْلَمَا له ودانا
عمرًا: هو عمرو بن العاص.

ولليمامة سَليطًا أرسلا فلم يفز صاحبها إذ سألَا
من النبي جَعَلَ بعض الأمر له، ثم إلى البلقَا شُجاعًا أرسله
وأرسل العَلَا إلى البحرين فأسلم المنذر دون مَينِ
العلاء: العلاء بن الحضرمي.

المنذر: المنذر بن ساوى.

والأشعريِّ ومعاذاً لليمن فأسلموا دون قتال وفتن
أرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى اليمن.

قال: (وأُهديت مارية القبطية فيه): أي أهدى المقوقس ملك الإسكندرية مارية القبطية إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان ذلك لما وصله كتاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يدعوه فيه إلى الإسلام، وكانت ملك يمين لم تكن من أزواجه، وقد ولدت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنه إبراهيم.

وهاتان الحادثتان -إرسال الرسل إلى الملوك وإهداء مارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- كانتا في شهر الله المحرم، عدهما الناظم من حوادث السنة السابعة، وهذا مبني على حساب السنة من ربيع الأول إلى ربيع الأول، وأما على أن السنة من المحرم فهما من حوادث السنة الثامنة.

[حوادث السنة الثامنة]

- وَأُهْدِيَتْ مَارِيَةُ الْقُبْطِيَّةُ ٨٠ فِيهِ، وَفِي الثَّامِنَةِ السَّرِيَّةِ
 لِمُؤْتَةِ سَارَتْ، وَفِي الصَّيَامِ ٨١ قَدْ كَانَ فَتَحَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ
 وَبَعْدَهُ قَدْ أَوْرَدُوا مَا كَانَ فِي ٨٢ يَوْمِ حُنَيْنٍ، ثُمَّ يَوْمِ الطَّائِفِ
 وَبَعْدُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ اعْتِمَارُهُ ٨٣ مِنْ الْجِعْرَانَةِ وَاسْتِقْرَارُهُ
 وَبَيْتُهُ زَيْنَبُ مَاتَتْ، ثُمَّ ٨٤ مَوْلِدُ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا حَتْمًا
 وَوَهَبَتْ نَوْبَتَهَا لِعَائِشَةَ ٨٥ سَوْدَةُ مَا دَامَتْ زَمَانًا عَائِشَةُ
 وَعَمِلَ الْمَنْبَرُ غَيْرَ مُخْتَفِي ٨٦ وَحَجَّ عَتَابٌ بِأَهْلِ الْمَوْقِفِ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي الثامنة السرية لمؤتة سارت): في السنة الثامنة كانت سرية مؤتة، وكان سببها أنهم قتلوا رسول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَرَضَ لَهُ عمرو بن شَرْحِبِيل الغساني من أهل مؤتة فقتله، فبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَإِنْ قَتَلَ فَجَعْفَرُ، فَإِنْ قَتَلَ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُتِلَ الْأَمْرَاءُ الثَّلَاثَةُ، قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: "خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأَصِيبُ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأَصِيبُ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأَصِيبُ» قَالَ: وَإِنْ عَيْنِيهِ لَتَذْرِفَانِ، «ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَسْرَنِي - أَوْ قَالَ مَا يَسْرُهُمْ - أَنَّهُمْ عِنْدَنَا».

هذا قوله: (وفي الثامنة السرية لمؤتة سارت)، وهي معدودة من السرايا لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يخرج فيها.

والفرق بين الغزوة والسرية والبعث: أن ما خرج فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه فإنه يسمى غزوة؛ وقع قتال أم لا، وأما ما لم يخرج فيه بنفسه فيسمى بعثاً أو سرية. وبعضهم يفرق بينهما فيجعل البعث ما كان للدعوة إلى الدين بلا قتال، ويجعل السرية ما كان للقتال. قال الشيخ سيلوم الشنقيطي في احمراره على (نظم الغزوات)، قال:

وبعضهم فَرَّقَ بعد البحث بين السَّريَّة وبين البعث
فالبعثُ: ما بعثَ طه الوالي يدعو إلى الدين بلا قتال
وإن يكن خلاصة البرية ﷺ أَمَرَ بالقتال فالسَّريَّة
أما إذا بنفسه الشريفه خرج فالغزاةُ خذ تعريفه

قال: (وفي الصيام قد كان فتح البلد الحرام): كان فتح مكة في السنة الثامنة في رمضان. سبق في صلح الحديبية أن الحرب وُضِعَتْ عشر سنوات يأمن فيها الناس ويكفُّ بعضهم عن بعض، وأن خزاعة دخلت في حلف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن بني بكر دخلوا في حلف قريش، فحصل أن بني بكر وثبوا على خزاعة وقتلواهم بماء يقال له (الوتير)، فقالت قريش: ما يعلم بنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا الليل وما يرانا أحد. فأعانوهم بالكراع والسلاح، فركب عمرو بن سالم إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما مثل بين يديه قال:

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا

حَلَفَ أَيْنَا وَأَيْبِهِ الْأَثَلَدَا

قَدْ كُنْتُمْ وُلَدًا وَكُنَّا وَالِدَا

ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

فَانْصُرْ - هَذَاكَ اللَّهُ - نَصْرًا أَيَّدَا

وَادُّعْ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا

فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا

أَبْيَضَ مِثْلَ الْبَدْرِ يَسْمُو صُعْدًا
 فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدًا
 إِنْ سِيمَ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا
 إِنْ قُرِيشًا أَخْلَقُوكَ الْمَوْعِدَا
 وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
 وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رَّصَدَا
 وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
 وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
 هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هَجَّدَا
 وَقَتَّلُونَا رُكْعًا وَسُجَّدَا

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ»، فكان بعد ذلك فتح مكة المكرمة في رمضان من السنة الثامنة من الهجرة.
 قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَبَعْدَهُ قَدْ أوردوا ما كان في ٨٢ يَوْمِ حُنَيْنٍ، ثُمَّ يَوْمِ الطَّائِفِ

يقال: غزوة حنين وغزوة أوطاس -وهما موضعان بين مكة والطائف-، وتسمى أيضا غزوة هوازن، وهي القبيلة التي قتلت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا قد اجتمعوا يريدون قتاله، وقد أعجب بعض المسلمين كثرتهم، وولى كثير منهم مدبرا، ثم كانت الغلبة بعد للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ ٥٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ

تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ [التوبة].

بعد حنين فرّ من نجا من هوازن إلى الطائف واحتموا في حصنها، فحاصرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: (ثم يوم الطائف) حاصرهم ثم رجع عنهم وتركهم، ولما قيل له: ادع على ثقيف، رفع يديه وقال: «اللهم اهد ثقيفًا وأت بهم»، فهداهم الله وأتوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسلمين في العام الذي بعده.

وَبَعْدُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ اعْتِمَارُهُ ٨٣ مِنْ الْجِعْرَانَةِ وَاسْتِقْرَارُهُ

لما رجع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الطائف أقام في الجعرانة بضع عشرة ليلة ثم اعتمر منها، ولما فرغ من عمرته انصرف إلى المدينة.

وَبَيْتُهُ زَيْنَبُ مَاتَتْ، ثُمَّ ٨٤ مَوْلِدُ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا حَتْمًا

عرفنا مما سبق أزواج بناته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقية وأم كلثوم وفاطمة، إلا زينب، من زوجها؟ أبو العاص بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كانت وفاة زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في هذه السنة الثامنة، وكانت فيها أيضًا ولادة إبراهيم بن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَوَهَبَتْ نَوْبَتَهَا لِعَائِشَةَ ٨٥ سَوْدَةُ مَا دَامَتْ زَمَانًا عَائِشَةُ

لما أَسَنَّتْ سودة وخشيت أن يفارقها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: لا تطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة، فقَبِلَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك منها. وهذا من فقهاها وشفقتها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أما كونه من فقهاها فلأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو طلقها لم تبق من أمهات المؤمنين ولم تكن زوجة له في الآخرة، وأما كونه من شفقتها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلأنها وهبت يومها لأحب نسائه إليه.

وَعُمِلَ الْمَنْبَرُ غَيْرَ مُخْتَفِي ٨٦ وَحَجَّ عَتَّابٌ بِأَهْلِ الْمَوْقِفِ

قال: (وَعُمِلَ الْمَنْبَرُ غَيْرَ مُخْتَفِي): في هذه السنة الثامنة عُمِلَ المنبر (غَيْرَ مُخْتَفِي) أي عُمِلَ في مكان بَيِّنٍ من المسجد. أخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امرأة من الأنصار قالت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه؟ فَإِنَّ لِي غلاماً نجاراً، قال: «إِنْ شِئْتَ»، قال: "فعملت له المنبر، فلمّا كان يوم الجمعة قعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق، فنزل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تنئن الصبي الذي يُسَكَّت حتى استقرت، قال: بكت على ما كانت تسمع من الذكر".

في السيرة النبوية لابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر خبر حنين الجذع، قال: وما أحسن ما قال الحسن البصري بعدما روى هذا الحديث عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: يا معشر المسلمين، الخشبة تحن إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شوقاً إليه! أوليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه؟!

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَحَجَّ عَتَّابٌ بِأَهْلِ الْمَوْقِفِ): عَتَّاب بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسلم يوم الفتح، واستعمله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مكة وعُمُرَه دون العشرين، وحجَّ بالناس سنة الفتح، فكان أول من حج بالناس من أمراء المسلمين.

[حوادث السنة التاسعة]

ثُمَّ تَبُوكَ قَدْ غَزَا فِي **التَّاسِعَةِ** ٨٧ وَهَدَّ مَسْجِدَ الضَّرَارِ رَافِعَهُ

وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُوبَكْرٍ، وَثُمَّ ٨٨ تَلَا بَرَاءَةً عَلَيَّ وَحَتَمَ

أَلَّا يَحُجَّ مُشْرِكٌ بَعْدُ وَلَا ٨٩ يَطُوفَ عَارٍ، ذَا بِأَمْرِ فَعَلَا

وَجَاءَتِ الْوُفُودُ فِيهَا تَتَرَا ٩٠ هَذَا وَمِنْ نَسَاهُ أَلَى شَهْرَا

ثُمَّ النَّجَاشِيُّ نَعَى وَصَلَّى ٩١ عَلَيْهِ مِنْ طَيِّبَةٍ نَالَ الْفَضْلَا

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُمَّ تَبُوكَ قَدْ غَزَا فِي **التَّاسِعَةِ** ٨٧ وَهَدَّ مَسْجِدَ الضَّرَارِ رَافِعَهُ

في السنة التاسعة كانت غزوة تبوك، وتسمى غزوة العسرة لما نال الناس فيها من عُسر وشدة ومشقة؛ فقد كان ذلك في شدة الحر، فأذن مؤذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغزو الروم، ودعا أصحابه إلى البذل فتسابق الصحابة في ذلك رجالاً ونساء، فجاء أبوبكر بماله كله، وجاء عمر بنصف ماله، وأما عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَرْبَى عَلَى الْجَمِيعِ؛ جَاءَ بِأَلْفٍ دِينَارٍ وَثَلَاثَ مِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابَهَا، فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ».

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد غزوة ورى بغيرها، إلا غزوة تبوك؛ فقد صرَّح لهم بها ليتأهبوا لشدة عدوهم وكثرته، فسار بهم حتى بلغ تبوك يخوف الروم، ثم رجع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يلق قتالاً.

قال: (وهَدَّ **مسجد الضرار رافعه**): وهَدَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجد الضرار بعد أن رجع من تبوك، (**رافعه**): رافعاً الضرار الذي بُني هذا المسجد لأجله. بنى جماعة من المنافقين مسجداً ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى خَبْرَهُ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا

وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ﴿١٧﴾ من قبل بناء المسجد ﴿وَلِيَحْلِفْنَ إِنَّ أَرْدَنًا إِلَّا الْحُسَيْنِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة]، وكانوا جاءوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يتجهز لغزوة تبوك وطلبوا أن يصلي لهم فيه، فأخبرهم أنه على جناح سفر، فلما رجع من تبوك قبل دخول المدينة جاءه خبر المسجد من السماء فأمر بتحريقه فحرق. والفقهاء يقولون: إن كل مسجد بني لهذا الغرض للإضرار حكمه حكم مسجد الضرار، قال الناظم:

وَأَمَرُوا بِالْهَدْمِ وَالتَّحْرِيقِ لمسجد بُني للتفريق
إِذْ كُلُّ مَا بُنِيَ لِلْإِضَارِ فحكمه كمسجد الضرار

وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ، وَثُمَّ ٨٨ تَلَا بَرَاءَةً عَلَيَّ وَحْتَمَ
أَلَّا يَحُجَّ مُشْرِكٌ بَعْدُ وَلَا ٨٩ يَطُوفَ عَارٍ، ذَا بِأَمْرِ فَعَلَا

قال: (وحجَّ بالناس أبو بكر) في السنة التاسعة حج بالناس أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وتمَّ تلا براءة علي) قرأ صدر سورة براءة ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (وحتم) أمر أمرًا جازمًا (ألا يحج مشرك بعد ولا يطوف عارٍ)، (ذا بأمر فعلا): فعلاه -فعله أبو بكر وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- بأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى: ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ثم أردف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذن ببراءة". قال أبو هريرة: "فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة وألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان".

وَجَاءَتِ الْوُفُودُ فِيهَا تَتْرًا ٩٠ هَذَا وَمِنْ نِسَاءِ آلِي شَهْرًا

بعد أن فتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك، ضربت إليه ﷺ الوفود من كل وجه؛ لذا سمي العام التاسع بعام الوفود، لأن العرب كانت تتلّوم بإسلامها -أي تنتظر بإسلامها- فتح مكة، يقولون: دَعُوهُ وقومَه، فإن ظهر عليهم فهو نبي. فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجًا.

وقد أطنب ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في (زاد المعاد) في ذكر أخبار الوفود واستخراج الفوائد والفرائد المستنبطة منها.

قال: (وجاءت الوفود فيها تترًا): أي جاءت الوفود متتابعة، (تترًا) هل هو اسم أو فعل؟ (تترًا) اسم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، وفي قراءة متواترة: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَّا﴾ بالتنوين، والتنوين من علامات اسمية الكلمة.

(هذا ومن نساء آل شهرًا): إيلاء النبي ﷺ من نسائه ثابت في الصحيحين أنه آلى من نسائه شهرًا؛ أي: حلف على ألا يدخل عليهن شهرًا. وليس المقصود بالإيلاء هنا الإيلاء الذي يذكره الفقهاء؛ وهو حلف الزوج على عدم جماع زوجته أكثر من أربعة أشهر الذي ورد في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦]. والمقصود هنا الإيلاء اللغوي، الإيلاء في اللغة هو الحلف ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ [النور: ٢٢] أي: لا يحلف.

واختلفت الروايات في سبب حلفه ﷺ أنه لا يدخل على زوجاته شهرًا، أشهرها قولان:

القول الأول: قصة تحريم العسل، وهي ثابتة في الصحيحين.

والثاني: قصة تحريم الجارية، ففي سنن النسائي عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حتى حرّمها، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ [التحریم: ١]، ويؤيده أن تحريم الجارية مما يتبغى بمثله مرضاة الزوجات.

وقيل: إنه بسبب طلبهن نفقة، وهو في صحيح مسلم.
ويرى الحافظ ابن حجر أن الأليق بكرم أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسعة صدره وكثرة صفحه أن يكون مجموع هذه الأشياء سبباً للإيلاء.
في الصحيحين أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آلى من نسائه شهراً، فلما مضى تسعة وعشرون يوماً غدا أو راح، قيل له: إنك حلفت ألا تدخل شهراً، فقال: «إن الشهر يكون تسعة وعشرين يوماً».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُمَّ النَّجَاشِيُّ نَعَى وَصَلَّى ٩١ عَلَيْهِ مِنْ طَيِّبَةِ نَالِ الْفَضْلِ

(ثُمَّ النَّجَاشِيُّ نَعَى): يعني أَخْبَرَ بموته، وقد كان النجاشي سبباً في إسلام صحابيٍّ جليلٍ من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من هو؟ صحابيٌّ أسلم على يد تابعيٍّ، هذا مما يُلغز فيه؛ النجاشي تابعي ليس من الصحابة، لأنه لم يلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن الصحابي الذي أسلم على يد تابعي؟ هو عمرو بن العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
نعى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النجاشي -أي أخبر بموته-، في الصحيحين أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعَى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر عليه أربعاً.

(نال الفضلا) نال النجاشي فضل صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه ودعائه له.

[حوادث السنة العاشرة]

- وَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْعَامِ الْأَخِيرِ ٩٢ وَالْبَجَلِيُّ أَسْلَمَ وَاسْمُهُ جَرِيرٌ
وَحَجَّ حَجَّةَ الْوَدَاعِ قَارِنًا ٩٣ وَوَقَفَ الْجُمُعَةَ فِيهَا آمِنًا
وَأُنْزِلَتْ فِي الْيَوْمِ بُشْرَى لَكُمْ ٩٤ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَمَوْتُ رَيْحَانَةَ بَعْدَ عَوْدِهِ ٩٥ وَالتَّسْعُ عِشْنَ مُدَّةً مِنْ بَعْدِهِ
وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ قَضَى يَقِينًا ٩٦ إِذْ أَكْمَلَ الثَّلَاثَ وَالسَّيِّئِينَ
وَالدَّفْنُ فِي بَيْتِ ابْنَةِ الصَّدِّيقِ ٩٧ فِي مَوْضِعِ الْوَفَاةِ عَنْ تَحْقِيقِ
وَمُدَّةِ التَّمْرِ يَضِ خُمْسًا شَهْرٍ ٩٨ وَقِيلَ: بَلْ ثُلُثٌ وَخُمْسٌ فَادِرٍ
قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

وَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْعَامِ الْأَخِيرِ ٩٢ وَالْبَجَلِيُّ أَسْلَمَ وَاسْمُهُ جَرِيرٌ

في العام العاشر من الهجرة كانت وفاة إبراهيم بن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سُرِّيَّته مارية القبطية وهو ابن ثمانية عشر شهرًا، أي كان ابن سنة ونصف، وقد دخل عليه وهو يجود بنفسه فجعلت عيناه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تذرْفان، وقال: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا لَفَرَاكُ يَا إِبْرَاهِيمَ لَحْزُونُونَ».

(والبجلي أسلم واسمه جرير): (البجلي) بتسكين ياء النسبة في البيت. جرير ابن عبدالله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسلم في هذه السنة العاشرة، وقيل: في السنة التي قبلها، وقد كان بديع الجمال، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ رَجُلٌ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ، عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةٌ مَلَكٌ»، فكان جرير. وقد بعثه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ذي

الْخَلَصَةَ، وهي بيت أصنام كان يُعبد من دون الله، فأمره بهدمه قال له: «ألا تريحني من ذي الخَلَصَةِ؟»، فهدمه جرير في فوارس من قومه.

وفي الصحيحين أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَوْضُأً وَمَسَحَ عَلَى خَفِيهِ، فقيل: تفعل هذا؟؛ لأن سورة المائدة فيها غسل الرجلين، فكان يُظَنُّ أَنَّهَا نَسَخَتْ مَشْرُوعِيَةَ الْمَسْحِ عَلَى الْخَفَيْنِ، لِأَنَّهَا مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ، فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "نعم، رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوْضُأً وَمَسَحَ عَلَى خَفِيهِ". قال إبراهيم النَّخَعِيُّ: كان يعجبهم هذا الحديث؛ لأنَّ إِسْلَامَ جَرِيرٍ كَانَ بَعْدَ نَزُولِ الْمَائِدَةِ. كان من آخرهم إِسْلَامًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَحَجَّ حِجَّةَ الْوُدَاعِ قَارِنًا ٩٣ وَوَقَفَ الْجُمُعَةَ فِيهَا آمِنًا

حج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْعَامِ الْعَاشِرِ حِجَّةَ الْوُدَاعِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَّعَ فِيهَا أَصْحَابَهُ، وَقَالَ فِيهَا: «لَتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحْجُ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ».

(وَحَجَّ حِجَّةَ الْوُدَاعِ قَارِنًا): أَيُّ أَهْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ مَعًا. وَقَدْ اخْتَلَفَتْ رَوَايَاتُ الصَّحَابَةِ فِي حِجَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ كَانَ قَارِنًا أَوْ مَفْرَدًا أَوْ مَتَمَتِّعًا، وَجَمَعَ بَيْنَهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ الْأَمْرِ أَهْلٌ مَفْرَدًا، ثُمَّ أَدْخَلَ الْعُمْرَةَ عَلَى الْحَجِّ فَآلَ أَمْرُهُ إِلَى الْقِرَانِ، وَالْمَسْأَلَةُ خِلَافِيَّةٌ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ.

(وَوَقَفَ الْجُمُعَةَ فِيهَا آمِنًا): الْوُقُوفُ بِعُرْفَةٍ فِي تِلْكَ الْحِجَّةِ كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ (آمِنًا) لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا قَدْ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَقَدْ نُوْدِيَ فِي السَّنَةِ الَّتِي قَبْلُهَا أَنْ لَا يَحْجَ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ؛ فَلَمْ يَحْجَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُشْرِكٌ.

وَأُنْزِلَتْ فِي الْيَوْمِ بُشْرَى لَكُمْ ٩٤ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَشِيَّةَ عُرْفَةٍ، فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرُؤُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ يَهُودٍ

نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. قال: أي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، قال عمر: "قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وهو قائم بعرفة يوم الجمعة".

وَمَوْتُ رِيحَانَةَ بَعْدَ عَوْدِهِ ٩٥ وَالتَّسْعُ عِشْنَ مُدَّةً مِنْ بَعْدِهِ

(وموت ريحانة بعد عودِهِ): ريحانة بنت زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت ملك يمين لا زوجة، كما سبق، واختلف هل ماتت في هذه السنة أو في السنة التي قبلها؟ قولان.

(والتسع عشن مدة من بعده): أزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإحدى عشرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ اثنتان منهن توفيتا في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من هما؟ خديجة بنت خويلد وزينب بنت خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال الناظم يجمع زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللاتي توفي عنهن:

توفي رسول الله عن تسع نسوة إلهن تُعزى المكرمات وتنسب
فعائشة، ميمونة، وصفية ورملة، تلوهن هند، وزينب
جويرية، مع حفصة، ثم سودة ثلاث وست نظمهن مُهذب

وآخر أزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موتًا أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، توفيت سنة إحدى وستين، عاشت حتى لم يبق على وجه الأرض أحد خير منها.

وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ قَضَى يَقِينًا ٩٦ إِذْ أَكْمَلَ الثَّلَاثَ وَالسَّيِّئَاتِ

كانت وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الاثنين كما في الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يصلي لهم في وجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستر الحجر، قال: "فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضاحكًا، قال: فبُهِتْنَا ونحن في الصلاة من فرح بخروج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونكص

أبو بكر على عقبه ليصل الصف، وظن أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خارج للصلاة، فأشار إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده أن أتموا صلاتكم، قال: ثم دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأرخى الستر، قال: فتوفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من يومه ذلك".

(ويوم الاثنين قضى يقيناً إذ أكمل الثلاث والستين): في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وَالدَّفْنُ فِي بَيْتِ ابْنَةِ الصَّدِّيقِ ٩٧ فِي مَوْضِعِ الْوَفَاةِ عَنْ تَحْقِيقِ

(والدفن في بيت ابنة الصديق): كما في الصحيحين عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إن كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتعذر في مرضه: «أين أنا اليوم؟ أين أنا غداً؟» استبطأ ليوم عائشة، قالت: فلما كان يومي قبضه الله تعالى بين سحري ونحري ودفن في بيتي.

(في موضع الوفاة عن تحقيق): لما قبض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "سمعت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً ما نسيته، قال: «ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه»"، فدفنوه في موضع فراشه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمُدَّةُ التَّمْرِیْضِ خُمْسًا شَهْرًا ٩٨ وَقِيلَ: بَلْ ثُلُثٌ وَخُمْسٌ فَادِرٍ

(ومدة التمريض خمساً شهراً): خمس الشهر ستة أيام، فالخمسان اثنا عشر يوماً. (وقيل: بل ثُلُثٌ وَخُمْسٌ فَادِرٍ): الثُلُث عشرة أيام، والخُمس ستة أيام، فهذه ستة عشر يوماً.

واختلف في ذلك، قيل: كانت مدة مرضه الأخير الذي توفي فيه اثني عشر يوماً، وقيل: بل كانت عشرة أيام، والأكثر - كما ذكر الحافظ ابن حجر - أنها كانت ثلاثة عشر يوماً.

[الخاتمة]

وَتَمَّتِ الْأَرْجُوزَةُ الْمِئِيَّةُ ٩٩ فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّةِ

(وتمت الأرجوزة المئّية): هي على بحر الرّجز (مستفعلن ست مرات)، (المئّية): نسبة إلى عدد أبياتها؛ فإنها مئة بيت، (في ذكر حال أشرف البرية).

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ رَبِّي وَعَلَى ١٠٠ أَصْحَابِهِ وَآلِهِ وَمَنْ تَلَا

وقد أتى الناظم رَحِمَهُ اللهُ في هذه المنظومة -مع اختصارها- على جُلِّ مهمّات حوادث السيرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

جزى الله ناظمها خير الجزاء.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



الفهرس

١	[مقدمة]
٤	[مقدمة المنظومة]
٥	[مولده واسترضاعه]
٩	[حادثة شق الصدر، ونشأته]
١٤	[زواجه وأولاده، وبنيان الكعبة]
١٨	[بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجهر بالدعوة]
٢٢	[الهجرة إلى الحبشة، وإسلام حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]
٢٥	[وفاة أبي طالب وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وإسلام الجن]
٢٧	[زواجه من سودة وعائشة، والإسراء والمعراج]
٣١	[بيعتا العقبة، والهجرة]
٣٣	[حوادث السنة الأولى]
٣٨	[حوادث السنة الثانية]
٤٥	[حوادث السنة الثالثة]
٤٩	[حوادث السنة الرابعة]
٥٧	[حوادث السنة الخامسة]
٥٩	[حوادث السنة السادسة]
٦٣	[حوادث السنة السابعة]
٦٨	[حوادث السنة الثامنة]
٧٣	[حوادث السنة التاسعة]
٧٧	[حوادث السنة العاشرة]
٨١	[الخاتمة]
٨٢	الفهرس